حركة المقاومة الإسلامية

حماس

دراسات في

الفكر والتجربة

تحرير

د. محسن محمد صالح

المشاركون

أ. د. أحمد سعيد نوفل — أ. أسامة حمدان — أ. إسماعيل هنية

د. إشتياق حسين — أ. بلال الشوبكي — د. حافظ الكرمي

أ. خالد مشعل — د. رائد نعيرات — أ. سامي خاطر

أ. سميح حمودة — أ. د. طلال عتريسي — د. عدنان أبو عامر

د. محسن محمد صالح — أ. د. مصطفى أبو صوي — د. موسى أبو مرزوق

أ. يوسف أبو السعود — أ. د. يوسف رزقة

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

حركة المقاومة الإسلامية
حماس
دراسات في
الفكر والتجربة

تحرير

د. محسن محمد صالح

المشاركون

أ. د. أحمد سعيد نوفل — أ. أسامة حمدان — أ. إسماعيل هنية

د. إشتياق حسين — أ. بلال الشوبكي — د. حافظ الكرمي

أ. خالد مشعل — د. رائد نعيرات — أ. سامي خاطر

أ. سميح حمّودة — أ. د. طلال عتريسي — د. عدنان أبو عامر

د. محسن محمد صالح — أ. د. مصطفى أبو صوي — د. موسى أبو مرزوق

أ. يوسف أبو السعود — أ. د. يوسف رزقة

مساعدو التحرير

إقبال عميش — فاطمة عيتاني

مركز الزيتونة

للدراسات والاستشارات

بيروت - لبنان

Islamic Resistance Movement (Hamas)
Studies of Thought & Experience

Editor:

Dr. Mohsen Moh'd Saleh

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الثانية
2015م – 1436هـ
بيروت – لبنان

ISBN 978-9953-572-38-3

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطّي من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
تلفون: 44 36 80 1 961 +
تلفاكس: 43 36 80 1 961 +
ص.ب.: 5034–14، بيروت – لبنان
بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net
الموقع: www.alzaytouna.net

إخراج
دعاء عبد الهادي

طباعة
53 dots Dar El Kotob s.a.l +961 5 813753

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 3

المشاركون في التأليف 11

تقدير ووفاء 17

المقدمة 19

القسم الأول
دراسات وأبحاث

الفصل الأول: حركة المقاومة الإسلامية (حماس):
قراءة في رصيد التجربة 1987–2005 ..... (23–60)
محسن محمد صالح

مقدمة 25
أولاً: خلفيات النشأة 25
ثانياً: مرحلة الانتفاضة المباركة 1987–1993 32
ثالثاً: مرحلة أوسلو 1993–2000 42
رابعاً: مرحلة انتفاضة الأقصى 2000–2005 51
خلاصة 59

الفصل الثاني: الرؤية السياسية لحماس ..... (61–107)
يوسف رزقة

مقدمة 63
أولاً: في الفكر السياسي لحماس 63
ثانياً: الدين والدولة 66
ثالثاً: الدولة والدستور والقانون 68
رابعاً: حماس والوطنية 71

خامساً: حماس والعلمانية 75
سادساً: حماس والديموقراطية 79
سابعاً: حماس وحقوق الأقليات 105

الفصل الثالث: رؤية حماس للآخر .....(109–124)
مصطفى أبو صُوَي

مقدمة 111
ميثاق حماس 118

الفصل الرابع: موقف حماس من منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها .....(125–176)
أحمد سعيد نوفل ومحسن محمد صالح

مقدمة 127
أولاً: موقف حماس من منظمة التحرير وحركة فتح والسلطة الفلسطينية 128
ثانياً: موقف حماس من اليسار الفلسطيني 162
خلاصة 175

الفصل الخامس: موقف حماس من الحركات الإسلامية الفلسطينية .....(177–211)
سميح حمّودة

مقدمة 179
أولاً: التغيرات العربية والدولية وأثرها على صعود الحركات الإسلامية في فلسطين 181
ثانياً: أسس موقف حماس من الحركات الإسلامية 184
ثالثاً: موقف حماس من حزب التحرير 188
رابعاً: موقف حماس من الجماعات الصوفية 193
خامساً: موقف حماس من الجماعات السلفية 194
سادساً: موقف حماس من حركة الجهاد الإسلامي 196
خلاصة 210

الفصل السادس: حماس وعملية التسوية السلمية .....(213–247)
رائد نعيرات

مقدمة 215
أولاً: حماس: النشأة والعملية السلمية 217
ثانياً: مرحلة المواجهة والصدام 224
ثالثاً: مرحلة التفاهم الحذر 228
رابعاً: مرحلة الدمج بين الذاتي والموضوعي 232
خلاصة 247

الفصل السابع: رؤية حماس للإصلاح السياسي والاجتماعي في فلسطين .....(249–283)
حافظ الكرمي

مقدمة 251
أولاً: رؤية حماس للإصلاح السياسي 252
ثانياً: رؤية حماس للإصلاح الاجتماعي 268
خلاصة 283

الفصل الثامن: علاقات حركة حماس مع العالم العربي .....(285–329)
عدنان أبو عامر

مقدمة 287
أولاً: محددات علاقات حماس العربية 287
ثانياً: المنطلقات العربية في العلاقة مع حماس 295
ثالثاً: أهداف حماس من العلاقات العربية 297
رابعاً: عقبات في طريق علاقات حماس العربية الرسمية 300
خامساً: البعد الشعبي في علاقات حماس العربية 304
سادساً: المواقف العربية من حماس 307
سابعاً: حماس و"الربيع العربي" 322
ثامناً: علاقات حماس الشعبية 325
خلاصة 329

الفصل التاسع: حماس والعالم الإسلامي:
تركيا وإيران نموذجاً .....(331–380)
طلال عتريسي

مقدمة 333
أولاً: حماس ومنظمة المؤتمر الإسلامي 336
ثانياً: حماس وتركيا 340
ثالثاً: حماس وإيران 361
خلاصة 378

الفصل العاشر: حماس في الحكم: دراسة في الأيديولوجيا
والسياسة 2006–2012 .....(381–426)
إشتياق حسين وبلال الشوبكي

مقدمة 383
أولاً: انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني لسنة 2006 386
ثانياً: إشكاليات النظام السياسي الفلسطيني وكيفية تعامل حماس معها 393
ثالثاً: التحديات الذاتية والموضوعية 397
خلاصة 425

الفصل الحادي عشر: حماس في الدراسات والأدبيات الغربية .....(427–452)
يوسف أبو السعود

مقدمة 429
أولاً: حماس كميليشيا عسكرية محافظة 430
ثانياً: حماس كمنظمة سياسية واقعية 436
ثالثاً: الجدل حول ميثاق حماس التاريخي 442
رابعاً: حماس بمعزل عن الإرهاب الدولي 444
خامساً: ديناميكيات جديدة داخل حماس وما حولها 446
خلاصة 451

القسم الثاني
حماس كما يُعبِّر عنها قادتها

الفصل الثاني عشر: حماس: معالم في الفكر والتجربة .....(455–478)
خالد مشعل

المبحث الأول: تقييم تجربة حماس في السلطة والمصالحة الوطنية :.....457
أولاً: تجربة حماس في المشاركة في السلطة الفلسطينية 457
ثانياً: تجربة حماس في المصالحة الوطنية 462
المبحث الثاني: رؤية حماس ومواقفها في ضوء التغيرات في العالم العربي : 466
أولاً: رؤية حركة حماس للقضية الفلسطينية 467
ثانياً: التطبيق العملي للمواقف والمفاهيم 471
ثالثاً: التغيرات في العالم العربي وانعكاساتها على القضية وعلى دور
حماس والتحديات المحتملة 473
رابعاً: تحديات وإشكالات أمام الربيع العربي ودوله 475

الفصل الثالث عشر: حماس: قراءة في الرؤية وتجربة الحكم .....(479–493)
إسماعيل هنية

أولاً: أبرز ثوابت حركة حماس 481
ثانياً: عناصر القوة والتماسك لدى حماس 481
ثالثاً: أولويات المشروع الوطني الفلسطيني 482
رابعاً: تقييم النموذج المقاوم لحماس 483
خامساً: موقف حماس من اليهود 484
سادساً: الموقف من الاعتراف بالكيان الصهيوني، ومشروع التسوية
السلمية، والحد الأدنى الذي يمكن أن تقبل به حماس 484
سابعاً: تجربة حماس في السلطة الفلسطينية 485
ثامناً: تقييم علاقات حماس مع فتح واليسار الفلسطيني 492

الفصل الرابع عشر: حماس: قراءة وتقييم للتجربة .....(516–495)
مـوسى أبـو مـرزوق

أولاً: عناصر القوة والتماسك لدى حماس 497
ثانياً: أولويات المشروع الوطني الفلسطيني في نظر حماس 498
ثالثاً: موقف حماس من اليهود ومن الحركة الصهيونية 500
رابعاً: الموقف من الاعتراف بالكيان الصهيوني، ومشروع التسوية السلمية، والحد الأدنى الذي يمكن أن تقبل به حماس 501
خامساً: تجربة حماس في السلطة الفلسطينية 502
سادساً: تقييم علاقات حماس مع القوى الفلسطينية 505
سابعاً: تقييم مشروع المصالحة الفلسطينية 509
ثامناً: الثورات والتغيرات في العالم العربي 511
تاسعاً: العلاقة مع إيران وسورية وحزب الله (محور الممانعة) 512
عاشراً: علاقات حماس الدولية 515

الفصل الخامس عشر: رؤية حركة حماس لإدارة الصراع مع العدو الصهيوني .....(530–517)
سامـي خاطـر

مقدمة 519
أولاً: الموجهات الأساسية في بلورة رؤية حماس 520
ثانياً: رؤية حماس لإدارة الصراع مع العدو الصهيوني 524

الفصل السادس عشر: العلاقات الدولية لحركة حماس .....(555–531)
أسامـة حمـدان

مقدمة 533
أولاً: أسس وضوابط علاقات حماس الخارجية 533
ثانياً: المصاعب والتحديات الخارجية 536
ثالثاً: تطور العلاقات الدولية لحركة حماس 547
رابعاً: حول نجاحات حماس وإخفاقاتها في علاقاتها الخارجية 554

ملحق الوثائق .....(661–557)

وثيقة رقم 1: البيان الأول لحركة المقاومة الإسلامية – حماس
(14 كانون الأول/ ديسمبر 1987) 559

وثيقة رقم 2: مذكرة حركة حماس إلى رئيس وأعضاء اللجنة التحضيرية
لإعادة تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني
(6 نيسان/ أبريل 1990) 560

وثيقة رقم 3: البيان الأول لكتائب الشهيد عز الدين القسام
(1 كانون الثاني/ يناير 1992) 563

وثيقة رقم 4: بيان لحركة حماس ترفض فيه اتفاق القاهرة (أوسلو 2)
بين منظمة التحرير الفلسطينية و"إسرائيل"
(14 أيار/ مايو 1994) 564

وثيقة رقم 5: مذكرة صادرة عن حركة حماس حول انتخابات مجلس الحكم
الذاتي الفلسطيني المحدود (16 كانون الثاني/ يناير 1996) 567

وثيقة رقم 6: بيان حركة حماس في بداية انتفاضة الأقصى
(29 أيلول/ سبتمبر 2000) 570

وثيقة رقم 7: مقابلة للشيخ أحمد ياسين مع المركز الفلسطيني للإعلام
بمناسبة الذكرى الثالثة للانتفاضة (28 أيلول/ سبتمبر 2003) 571

وثيقة رقم 8: بيان حركة حماس بشأن المشاركة في انتخابات المجلس
التشريعي للسلطة الفلسطينية (12 آذار/ مارس 2005) 578

وثيقة رقم 9: النص الحرفي لـ"إعلان القاهرة" الصادر عن الفصائل
الفلسطينية في 2005/3/17 (17 آذار/ مارس 2005) 579

وثيقة رقم 10: نصّ برنامج قائمة "التغيير والإصلاح" لانتخابات
المجلس التشريعي الفلسطيني 2006 580

وثيقة رقم 11: كلمة رئيس الوزراء إسماعيل هنية أمام المجلس التشريعي
لنيل الثقة للحكومة العاشرة (27 آذار/ مارس 2006) 596

وثيقة رقم 12: النص النهائي لوثيقة الوفاق الوطني
(28 حزيران/ يونيو 2006) 608

وثيقة رقم 13: نصّ اتفاق مكة بين حركتي فتح وحماس
(8 شباط/ فبراير 2007) 612
وثيقة رقم 14: برنامج حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية برئاسة
إسماعيل هنية (16 آذار/ مارس 2007) 613
وثيقة رقم 15: المؤتمر الصحفي الذي عقدته حركة حماس في مدينة غزة
بعد الحسم العسكري (22 حزيران/ يونيو 2007).....619
وثيقة رقم 16: حوار صحيفة السبيل مع رئيس المكتب السياسي لحركة
حماس خالد مشعل حول الفكر السياسي لحماس
(23 آب/ أغسطس 2010) 626
وثيقة رقم 17: اتفاقية الوفاق الوطني الفلسطيني في القاهرة
في 2011/5/3 (3 أيار/ مايو 2011) 642
وثيقة رقم 18: نصّ بيان إنفاذ اتفاق المصالحة الفلسطينية بين حركتي
فتح وحماس (اتفاق الشاطئ) (23 نيسان/ أبريل 2014) 659

تقدير ووفاء

للأستاذ الدكتور إبراهيم أبو ربيع

هذا الكتاب مدين في فكرة صدوره إلى الأستاذ الدكتور إبراهيم أبو ربيع رحمه الله؛ أحد أبرز المتخصصين في دراسات التيارات والحركات الإسلامية المعاصرة، والأستاذ في الجامعات الأمريكية والكندية. فقد طرح علينا رحمه الله فكرة إصدار كتاب يتناول فكر حركة حماس وتجربتها بطريقة علمية موضوعية بحيث يعرضها كما هي، وكما تُعبِّر بنفسها عن نفسها، أو كما يدرسها أكاديميون متخصصون موضوعيون.

قطعنا مع د. إبراهيم الخطوات الأولى من إعداد خطة الكتاب ومراسلة الباحثين، غير أنه توفي رحمه الله في عمَّان في 2011/7/2؛ قبل أن يتم الفصل الذي التزم بكتابته، وقبل أن يشاركنا في تحرير أيٍّ من نصوص الكتاب؛ فكانت وفاته خسارة كبيرة لنا. وها نحن نكمل مشوار الكتاب، آملين أن يكون قد تحقق الهدف المراد من إنجازه.

رحم الله الدكتور إبراهيم، وأسكنه فسيح جناته

المحرر

د. محسن محمد صالح

المقدمة

تُمثِّل حركة المقاومة الإسلامية حماس أحد أبرز حركات المقاومة الفلسطينية. وهي حركة حظيت، وما زالت تحظى، بشعبية واسعة في الوسط الفلسطيني. وهي تتبنى الإسلام عقيدة وسلوكاً ومنهجاً، وتنتمي إلى مدرسة الإخوان المسلمين في تبني الإسلام السني الوسطي المعتدل كما تَذكر في أدبياتها.

يحاول هذا الكتاب أن يلتزم بأمرين أساسيين، الأول: الالتزام بمناهج البحث العلمي وكل ما يتطلبه ذلك من دقة وموضوعية وتوثيق؛ والثاني: محاولة تقديم حماس كما هي، سواء من خلال باحثين متخصصين مُطلعين على حماس وتجربتها، أم من خلال قيادات من حماس نفسها التي غطَّت عدداً من الجوانب المهمة وسدَّت العديد من الثغرات الضرورية لاستكمال الصورة؛ خصوصاً عندما لا تكون الأدبيات المنشورة كافية لتبيين النقاط محلِّ البحث.

يتوزع الكتاب على قسمين، الأول: دراسات علمية حول حماس وتجربتها، والثاني: إسهامات لخمسة من كبار قادة حماس في الإجابة عن العديد من التساؤلات في مواضيع متنوعة حول الحركة. ويشمل القسم الثاني مقابلات أجراها المحرر عن طريق المراسلات الإلكترونية مع خالد مشعل وإسماعيل هنية وموسى أبو مرزوق وأسامة حمدان، على أن تُعدَّ مادة المقابلات إسهاماً ومشاركة منهم في إعداد الكتاب. ولذلك، تمّ وضع الإجابات بحيث تأخذ شكلاً متناسقاً سلساً، بعد حذف الأسئلة وتحويل معظمها إلى عناوين. كما تضمن هذا القسم ورقة عمل أعدها سامي خاطر حول رؤية حماس لإدارة الصراع.

يبدأ الكتاب باستعراض تاريخي لنشأة حركة حماس وتطورها، يليه مناقشة للرؤية السياسية لحركة حماس، ونظرة حماس للعدو الصهيوني، وموقفها من مشاريع التسوية السلمية ومن الفصائل الفلسطينية، ورؤيتها لعملية الإصلاح السياسي والاجتماعي؛ كما يناقش الكتاب دوائر علاقات حماس العربية والإسلامية. أما إسهامات قادة حماس، فهي تمثل إضافة نوعية محدَّثة حول عدد من القضايا التي ثار الجدل حولها فيما يتعلق بحماس وتجربتها؛ مع ملاحظة أن مشاركة أسامة حمدان تركزت على العلاقات الدولية لحماس، على أساس أنه كان مسؤولاً لبضع سنين عن هذا الملف في الحركة، وعلى اعتبار عدم وجود دراسة علمية في الجزء الأول حول هذا الجانب.

في البداية، عندما تمّ التخطيط لإصدار هذا الكتاب مع الأستاذ الدكتور إبراهيم أبو ربيع رحمه الله، تمّ على أساس صدور النسخة الإنجليزية أولاً بسبب الحاجة الماسة للساحة الأجنبية لهذا النوع من الكتب. غير أننا استلمنا معظم الدراسات باللغة العربية، وهو ما جعل الطبعة العربية أسرع وصولاً للمطبعة، بينما يجري إعداد النسخة الإنجليزية للطباعة. وتجدر الإشارة إلى أن فصول هذا الكتاب أعدت على مدى زمني واسع يزيد عن العامين (بين النصف الثاني من سنة 2011 والنصف الأول من سنة 2014)؛ وربما لا يكون لذلك تأثير ذا بالٍ، فيما يتعلق بالجوانب الفكرية والرؤية السياسية، غير أنه يجدر التنبه له عند الحديث عن تجربة حماس على الأرض وعلاقاتها الفلسطينية والعربية والإسلامية والدولية؛ وإن كنا حاولنا أن تكون النصوص محدّثة قدر الإمكان.

من جهة أخرى، فإن المحرر قام بدوره المعتاد في تحرير النصوص العلمية وضبطها، بحيث يخرج الكتاب بشكله المتكامل المترابط المتناسق. وقد كانت السياسة العامة هي التدخل بالحد الأدنى الضروري، وخصوصاً ما يتعلق بتوحيد أساليب التوثيق، والتبويب، واللغة. غير أن بعض المواضع استدعت تحديثات أو إضافات مهمة، كما هو الحال في الجوانب المتعلقة بعلاقة حماس مع حركة الجهاد، وبعلاقات حماس الإسلامية وتحديداً مع تركيا. وبالطبع، فإن المحرر مسؤول عن الشكل النهائي الذي خرجت فيه هذه النصوص. أما كتابات ومقابلات قادة حماس فقد تمّ الالتزام بنصوصها، مع مراعاة الضبط اللغوي المعتاد؛ وأخذ موافقتهم عليها.

وأخيراً، لا يسعنا إلا أن نترحم على الأستاذ الدكتور إبراهيم أبو ربيع على مبادرته بفكرة الكتاب، سائلين الله أن تكون في ميزان حسناته. كما نشكر جميع الزملاء الباحثين، الذين أسهموا في إعداد فصول الكتاب، ونشكر قيادات حماس التي تجاوبت في الكتابة وتوفير التوضيحات عن العديد من التساؤلات. والشكر موصول أيضاً لفريق عمل الزيتونة وخصوصاً الأختين إقبال عميش وفاطمة عيتاني.

سائلين الله سبحانه أن يُشكّل هذا الكتاب إضافة نوعية ومنهجية في الدراسات المتعلقة بحركة حماس وبالقضية الفلسطينية، ومرحبين بكل ملاحظة أو توجيه أو نقد بناء.

والحمد لله ربّ العالمين

المحرر

د. محسن محمد صالح

القسم الأول

دراسات وأبحاث

الفصل الأول

حركة المقاومة الإسلامية (حماس)

قراءة في رصيد التجربة 1987–2005

د. محسن محمد صالح

حركة المقاومة الإسلامية (حماس)*

قراءة في رصيد التجربة 1987–2005

مقدمة:

تسعى هذه الدراسة المختصرة لاستعراض تجربة حركة حماس في الفترة 1987–2005، أي الفترة التي سبقت فوزها في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني. وهي تركز بشكل خاص على التطورات السياسية والفعاليات النضالية المتعلقة بهذه الحركة. وتوضح كيف وصلت الحركة إلى مكانة تؤهلها بأن تكون عنصراً فاعلاً في الساحة الفلسطينية، ورقماً صعباً لا يمكن تجاوزه في أيّ معادلة سياسية.

أولاً: خلفيات النشأة:

ظهر اسم حركة المقاومة الإسلامية مع انطلاق الانتفاضة الأولى في كانون الأول/ ديسمبر 1987. وعرَّفت الحركة نفسها منذ البداية بأنها "جناح من أجنحة الإخوان المسلمين في فلسطين". والحقيقة أن حماس هي أحد أشكال المقاومة التي قرر الإخوان المسلمون الفلسطينيون تبنيها، ضمن تاريخهم الطويل في فلسطين. وبالتالي فإن حماس لم تأتِ من فراغ، وإنما هي استمرار لعملهم الذي نشأ في فلسطين منذ بداية الأربعينيات من القرن العشرين، واتخذ شكل العمل العلني المنظم وافتتاح الفروع والمقرات منذ أواخر سنة 1945 حتى وصلت نحو خمس وعشرين فرعاً قبل حرب 1948. وكانت جماعة الإخوان في فلسطين قد نشطت منذ نشأتها في مجالات الدعوة والتربية والتوعية الإسلامية، والتعريف بالخطر الصهيوني، وبالمؤامرة على فلسطين، والتعبئة للجهاد. ودلت القرارات الصادرة عن مؤتمراتهم العامة (حيفا، تشرين الأول/ أكتوبر 1946)، (حيفا، تشرين الأول/أكتوبر 1947) على قوتها ومتابعتها للأحداث السياسية ومضمونها الجهادي[1].

---

* هذا الفصل في أصله دراسة نُشرت في كتاب: تركي الدخيل وآخرون، **حركة حماس**، الكتاب العشرون (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2008)، ص 53–87.

[1] محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917–1948**، ط 2 (الكويت: مكتبة الفلاح، 1989)، ص 447–450؛ وبيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917–1948** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1981)، ص 503.

شارك الإخوان المسلمون الفلسطينيون في الجهاد عندما اندلعت حرب 1948/1947، إلا أن حداثة تنظيمهم، وعدم نموه واستقراره بشكل مناسب وقوي، جعل مشاركتهم محصورة ضمن قدراتهم المحدودة وإمكاناتهم المتواضعة. ومع ذلك فقد شكّلت شُعب الإخوان في فلسطين قوات غير نظامية منذ بداية الحرب، عملت في أماكن استقرارها في الشمال والوسط تحت القيادات العربية المحلية هناك (التي تتبع جيش الإنقاذ أو جيش الجهاد المقدس). وقد قامت بغارات ناجحة على المستعمرات اليهودية الصهيونية، على الرغم من الضعف الشديد الذي كانت تعانيه سواء في التسليح أم في التدريب[2]. أما في المناطق الجنوبية وخصوصاً غزة وبئر السبع، فقد انضم العديد من إخوان فلسطين إلى قوات الإخوان (المصرية) الحرة بقيادة كامل الشريف.

وعلى سبيل المثال، فقد كان من أنشط شُعب الإخوان مشاركة في الجهاد شعبة الإخوان المسلمين في يافا[3]. وعندما تشكلت لجنة قومية في يافا مع بدء الحرب شارك ضمن قيادتها ممثل عن الإخوان المسلمين وهو رئيس الفرع هناك "ظافر راغب الدجاني"، حيث أسندت إليه مهمة إدارة اللجنة الاقتصادية، إذ إنه كان يشغل أيضاً رئاسة الغرفة التجارية في المدينة[4]. ويقول يوسف عميرة (الذي كان أحد شباب الإخوان في يافا، ثم أحد مؤسسي وقادة حركة فتح لاحقاً) إن الإخوان تولوا في أثناء الحرب الدفاع عن مناطق البصة وتل الريش والعجمي والنزهة في يافا، بالإضافة إلى المحافظة على الأمن داخل المدينة[5].

وفي منطقة القدس شارك إخوان فلسطين في القتال مع إخوانهم القادمين من البلاد العربية، أو مع قوات الجهاد المقدس. ومما يلفت النظر أنّه عندما تشكلت اللجنة القومية في القدس في 1948/1/26 لتتولّى أمور رعاية المدينة وحمايتها في أثناء حرب 1948 فإنّها كانت تتكون من 14 عضواً. وقد كان من بين هؤلاء خمسة أعضاء في جماعة الإخوان المسلمين في القدس، وهم: شريف صبوح، وأسعد الإمام، وطاهر بركات، وجميل وهبة،

---

[2] كامل الشريف، **الإخوان المسلمون في حرب فلسطين** (الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، 1984)، ص 464.

[3] مقابلة أجراها الباحث مع يوسف عميرة، الكويت، 1985/11/6.

[4] عارف العارف، **النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947–1952** (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، 1954)، ج 1، ص 227–229 و234.

[5] مقابلة أجراها الباحث مع يوسف عميرة، 1985/11/6.

وعيد عابدين[6]. وهذا مؤشّر قوي على ما تمتّعت به جماعة الإخوان أو الشخصيات المنتمية لها من احترام ونفوذ وتأثير في القدس، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كثرة الاتجاهات والأحزاب والجمعيات والتنوع الطائفي الديني في القدس.

بعد كارثة حرب 1948، كان الإخوان المسلمون من التيارات الأكثر شعبية في الوسط الفلسطيني خلال الفترة 1949–1954، سواء في الضفة أم في القطاع؛ وذلك لدورهم المشهود في حرب 1948، ولما طرحوه من برامج إسلامية وطنية، كما أنهم نعموا بحرية نسبية في مصر حتى 1954، وبأجواء مواتية في الأردن. ولم تكن التيارات الأخرى لتقوى على منافسة الإسلاميين، إلا بعد أن سدّد عبد الناصر ضربته القاسية للإخوان، وأخذ يلاحقهم، واستخدم إعلامه القوي في تشويه صورتهم. فأصبح التوجه العام لدى الإخوان والإسلاميين عموماً هو المحافظة على النفس، والانكفاء على الذات بانتظار ظروف أفضل. وكانت أحد نماذج قوة الإسلاميين رابطة طلبة فلسطين في مصر، التي كان يفوز بها الإسلاميون أو من يدعمونه حتى سنة 1957، والتي رأسها ياسر عرفات عندما كان طالباً مقرّباً من الإخوان.

وفي قطاع غزة أنشأ الإخوان المسلمون تنظيماً سرياً ذا طبيعة عسكرية[7]، قام بعدد من العمليات بالتنسيق مع بدو النقب، واستفادوا من وجود الضابط الإخواني في الجيش المصري عبد المنعم عبد الرؤوف في القطاع إثر نجاح الثورة المصرية، فسهل لهم سبل التدريب العسكري. وكانت عملية "الباص" في 1954/3/17 أحد أشهر العمليات، التي تُظهر بعض المؤشرات أن البدو نفذوها بالتنسيق مع الإخوان، وأدت إلى مقتل 11 إسرائيلياً قرب بئر السبع بجانب مستعمرة معاليه أكربيم Ma'ale Akrabim[8].

---

[6] انظر: محسن محمد صالح، "أضواء وثائقية على جماعة الإخوان المسلمين في القدس سنة 1946،" في **مجلة الدراسات الفلسطينية**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، المجلد 15، العدد 58، ص 71؛ وانظر أسماء أعضاء اللجنة القومية في القدس في: بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص 906.

[7] قام الباحث بعمل دراسة باللغة الإنجليزية حول هذا التنظيم، وقبلت للنشر في النسخة الإنجليزية لـ **مجلة الدراسات الفلسطينية**، والدراسة بعنوان:

The Military Activities of The Palestinian's Muslim Brothers In Gaza Strip 1949–1954.

[8] See Public Record Office (The National Archives), Kew Gardens, London, Files: Foreign Office (F.O.) 371/111077, 111098–111100.

وفي تلك الفترة، فرضت حالة التضييق والمطاردة المفروضة على التيار الإسلامي، خصوصاً في مصر والقطاع، تساؤلات أمام شباب الإخوان المسلمين الفلسطينيين المتحمسين، الذين أخذوا يتساءلون عن وسائل العمل الممكنة لتحرير فلسطين. وبالرغم من أن التيار العام وسطهم كان يدعو إلى التريث، والتركيز على الجوانب التربوية والإيمانية، إلا أن تياراً آخر أخذ يتجه للقيام بعمل منظم مسلح، لا يتخذ أشكالاً إسلامية مكشوفة، وإنما يتبنى أطراً وطنية تمكنه من تجنيد قطاعات أوسع من الشباب، ولا تجعله عرضة لعداء الأنظمة وملاحقاتها. وكانت تجربة الثورة الجزائرية في تلك الفترة أحد الحوافز المهمة لهذا العمل. وكانت هذه هي البذور الأولى لنشأة حركة فتح (حركة تحرير فلسطين، وفيما بعد حركة التحرير الوطني الفلسطيني) سنة 1957 في الكويت، برئاسة ياسر عرفات، والتي خرجت أساساً من أحضان الإخوان المسلمين، وبالذات من أبناء قطاع غزة.

وكان خليل الوزير (أبو جهاد) الذي كان عضواً في الإخوان، والذي أصبح الرجل الثاني في فتح طوال ثلاثين عاماً، قد قدَّم اقتراحاً بذلك إلى قيادة الإخوان في القطاع فلم يستجيبوا له. غير أن هذا لم يمنع أن ينضم لفتح عند نشأتها عدد لا بأس به من ذوي المكانة والاحترام بين الإخوان أمثال سعيد المزين، وغالب الوزير، وسليم الزعنون، وصلاح خلف، وأسعد الصفطاوي، ومحمد يوسف النجار، وكمال عدوان، ورفيق النتشة، وعبد الفتاح حمود، ويوسف عميرة حيث تولوا مناصب قيادية عالية في الحركة، بالإضافة إلى أن ياسر عرفات نفسه كان مقرباً من هذه الجماعة. غير أن فتح، التي ظلت تركز في تجنيدها على العناصر الإخوانية حتى سنة 1962، انفتحت أكثر على مختلف التيارات وقطاعات الشعب الأخرى، خصوصاً بعد أن أصدرت قيادة الإخوان في القطاع أوامرها بالتمايز إما مع فتح وإما مع الإخوان[9]. وأخذت فتح تصطبغ بصبغة وطنية علمانية شكلت هويتها العامة إلى وقتنا هذا.

وعلى أيّ حال، فلا ينبغي للإخوان أن يبالغوا في نسبة حركة فتح إليهم، كما لا ينبغي لحركة فتح أن تتنكر لجذورها وبداياتها الأولى. فإذا كان الإخوان هم المحضن الذي خرجت منه الفكرة وبداياتها الأولى، فإن فتح لم تنشأ بقرار من قيادة الإخوان ولا وفق

[9] انظر: عبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية** (الكويت: دار القلم، 1986)، ص 71–96؛ وانظر أيضاً: رسالة للباحث من سليمان حمد، الكويت، 1994/7/17. ملاحظة: الأستاذ سليمان حمد كان من الإخوان الفلسطينيين، وكان كذلك من الجيل المؤسس لحركة فتح .

خططهم، كما أن مشروعها لم يحمل أيديولوجية الإخوان، ولا الضوابط التي تضمن سيره كمشروع يخدم أهدافهم.

ومن جهة أخرى، فمنذ أن ضمت الأردن الضفة الغربية إليها بعد حرب 1948، توحد الإخوان المسلمون في الضفة الغربية مع الإخوان في الأردن. أما الإخوان المسلمون في قطاع غزة فقد كان لهم مكتبهم الإداري الخاص بهم برئاسة الشيخ عمر صوان حتى سنة 1954. وقد تابعوا بعد ذلك عملهم سراً تحت ضغط نظام عبد الناصر وملاحقته. غير أنهم أعادوا ترتيب صفوفهم وأنشأوا "التنظيم الفلسطيني"، بحيث تبع لهم أيضاً الإخوان الفلسطينيون في بلدان الخليج، وانتخبوا هاني بسيسو مراقباً عاماً لهم في صيف 1962[10].

وبعد كارثة حرب 1967 والاحتلال الإسرائيلي لباقي فلسطين وسيناء والجولان، أخذ التيار الإسلامي يستعيد حيويته وسط الفلسطينيين، وتزايد الاتجاه نحو الإسلام، بعد أن رأت الجماهير فشل الأيديولوجيات القومية والعلمانية واليسارية في حلّ القضية. وكانت مشاركة الإخوان المسلمين في العمل الفدائي الفلسطيني في الفترة 1968–1970، عبر ما عرف بـ"معسكرات الشيوخ" في الأردن بالتنسيق مع حركة فتح، أحد مظاهر الحيوية المبكرة. فقد وفرت حركة فتح الغطاء لهذه المعسكرات، كما التزمت بتقديم التموين والسلاح والذخيرة، بالإضافة إلى مصاريف المتطوعين، وكانت العمليات الفدائية تحدث بالتنسيق مع فتح؛ بينما كان للإخوان حريتهم الكاملة في تصريف أمور التدريب والانتقاء، وشؤونهم الإدارية الداخلية[11]. وقد تمّ تدريب حوالي 300 رجل توزعوا على سبع قواعد فدائية. وبالرغم من محدودية إمكاناتهم ومشاركتهم، فقد قدموا نماذج متميزة في عمليات قوية كالحزام الأخضر في 1969/8/31، ودير ياسين في 1969/9/14. وقد استشهد منهم 13 رجلاً[12]. وتجدر الإشارة إلى أنه في الوقت الذي تبنَّى فيه تنظيم الإخوان في الأردن وتنظيمات الإخوان في البلاد العربية فكرة معسكرات الشيوخ، فإن قيادة التنظيم الفلسطيني لم تتبنَّ المشاركة

[10] بناء على عدد من المقابلات التي أجراها الباحث، مع الإشارة إلى أن البعض قال إن ذلك تمّ سنة 1963 وليس سنة 1962.

[11] مقابلة أجراها الباحث مع عبد العزيز علي، الكويت، 1985/9/27؛ وانظر: عبد الله أبو عزة، **مرجع سابق**، ص 127–144.

[12] محمد الحسن، **موقف الإسلاميين من قضية فلسطين** (قطر: مكتبة الفتح ومكتبة الغزالي، 1995)، ص 139.

في هذه المعسكرات، على أساس أن هذا العمل العسكري سابق لأوانه، غير أنها دعمته مادياً، ولم تمانع من مشاركة أعضاء التنظيم بمبادرة ذاتية من أنفسهم[13].

وبشكل عام، فإن الإخوان المسلمين الذين أخذوا يستعيدون حالتهم الشعبية (مع تصاعد الصحوة الإسلامية) في النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين، وضعوا المقاومة المسلحة نصب أعينهم، ولكنهم قرروا التريّث ريثما يستكملون استعداداتهم ويشكلون عملاً عسكرياً يستعصي على الاستئصال... ولذلك كان ظهور حماس بشكلها الناضج ثمرة طبيعية لجهود طويلة... وتحولاً محسوباً في جماعة متجذرة في الواقع الفلسطيني.

استفاد الإخوان (ثم حماس) في صعودهم السريع من عراقة وقدم التنظيم الإخواني الفلسطيني، إذ إنه أقدم تنظيم حركي فلسطيني، كان ما يزال يحتفظ بفاعليته على الساحة. كما استفادوا من تراث الإخوان المسلمين العالمي الفكري والدعوي والتربوي الضخم، الذي أنتجته مدرسة الشيخ حسن البنا ومفكروها في بلدان العالم منذ ثلاثينيات القرن العشرين؛ ومن الدعم الذي يتلقونه من فروع الإخوان في بلدان العالم. كما لم يركز الإخوان على مشروع المقاومة العسكرية فقط؛ وإنما شكّلوا دعوة إصلاحية ومدرسة تربوية وهيئة اجتماعية خيرية، وتغلغلوا في أوساط الناس، بحيث استفادوا من هذه الأنشطة في تجنيد عناصرهم وتجديد أنفسهم، مما جعل عملية اقتلاعها أمراً يكاد يكون مستحيلاً. وفوق ذلك، فقد كان لدى الإخوان شعور عميق بماضٍ جهادي مقاوم يفخرون به منذ 1948.

وكما نشطت فتح والجبهة الشعبية والديموقراطية وغيرها في إنشاء المؤسسات المدنية التعليمية والصحية والاجتماعية والاقتصادية، فقد نشط الإخوان أيضاً في إنشاء المؤسسات المدنية، وفي بناء المساجد في فلسطين، واستخدامها في نشر دعوتهم، حيث زادت من 200 مسجد سنة 1967 إلى 600 مسجد سنة 1987. وقاموا ببناء العديد من المؤسسات الخيرية والاجتماعية على رأسها المجمع الإسلامي والجمعية الإسلامية في قطاع غزة وعدد من لجان الزكاة والمؤسسات الخيرية في الضفة الغربية. وتمّ بناء أطر ومؤسسات داعمة للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج، كما تمّ تأسيس عدة

[13] مقابلة أجراها الباحث مع عبد الله أبو عزة، أبو ظبي، 1998/6/29؛ ومقابلة أجراها الباحث مع سليمان حمد، الكويت، 1999/11/28.

واجهات للعمل الطلابي الإسلامي الفلسطيني في الكويت وبريطانيا وألمانيا وأمريكا. وقد شكَّلت "قائمة الحق الإسلامية" القائمة الأقوى في انتخابات الاتحاد العام لطلبة فلسطين في جامعة الكويت خلال العامين الدراسيين 1978/1977 و1979/1978 حيث قادها في عامها الأول خالد مشعل، الذي أصبح فيما بعد رئيس المكتب السياسي لحركة حماس. ولذلك، لم تبدأ حماس منذ نشأتها من ذيل القائمة الطويلة لمنظمات المقاومة الفلسطينية، وإنما قفزت مباشرة لتكون المنافس الأول والقوي لحركة فتح التي تعد العمود الفقري لـ م.ت.ف في انتخابات الجامعات وفي المؤسسات النقابية[14].

اندمج العمل الإخواني الفلسطيني سنة 1978 مع الإخوان في الأردن في تنظيم واحد، أطلق عليه اسم تنظيم "بلاد الشام"، ثم تمّ تشكيل "قسم فلسطين" الذي يتبع هذا التنظيم. وفي سنة 1983، عُقد مؤتمر داخلي أكد على أن العمل لقضية فلسطين ومشروع التحرير لا يتعارض مع مشروع إقامة الدولة الإسلامية. وبذلك حسم حالة النقاش التي استمرت سنوات طويلة حول "جدلية الدولة والمقاومة"، أي هل ينتظر الإخوان إقامة الدولة الإسلامية حتى يبدأ مشروع التحرير أم لا؟ وكان الحسم باتجاه أن مشروعي الدولة الإسلامية ومقاومة العدو الصهيوني خطّان متوازيان مكملان لبعضهما البعض، ويسيران جنباً إلى جنب دونما تعارض. وكان ظهور حماس فيما بعد هو التطبيق العملي لهذا الفهم.

وقد ظهرت بوادر تأسيس الجهاز العسكري عندما أرسلت القيادة بعض كوادرها سنة 1980 للتدريب العسكري في الخارج. وقام الشيخ أحمد ياسين، بتأسيس الجهاز العسكري في القطاع، وقاده في مراحله الأولى عبد الرحمن تمراز ثم صلاح شحادة. بيد أن انكشاف أمر التنظيم العسكري عن طريق أحد تجار السلاح المشبوهين أدى إلى ضربه في الفترة 2/25–1984/7/1. وقبضت السلطات الإسرائيلية على الشيخ أحمد ياسين بتهمة انتمائه لتنظيم معادٍ لـ"إسرائيل" وحيازة الأسلحة، وحكمت عليه بالسجن 13 عاماً، غير أنه أفرج عنه في عملية تبادل الأسرى التي تمت في 1985/5/20، بين المنظمات الفدائية الفلسطينية والكيان الإسرائيلي[15].

---

[14] انظر: محسن محمد صالح، **دراسات منهجية في القضية الفلسطينية** (القاهرة: مركز الإعلام العربي، 2003)، ص 408–409.

[15] ربعي المدهون، "الحركة الإسلامية في فلسطين 1928–1987،" في مجلة **شؤون فلسطينية**، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، العدد 187، تشرين الأول/ أكتوبر 1988، ص 27.

وقد أعيد ترميم الجهاز وإعادة بنائه من جديد سنة 1986 تحت اسم "المجاهدون الفلسطينيون"، وبدأت تشكيلات الجهاز بالعمل قبل انتفاضة 1987، خاصة في مجال جمع السلاح وتخزينه وتدريب العناصر. وتأسس الجهاز الأمني للإخوان في قطاع غزة (مجد) سنة 1981 ، كجزء من العمل العسكري، وأعيد بناؤه وتوسيعه سنة 1985.

وفي صيف سنة 1985 اتخذت قيادة الإخوان المسلمين قراراً باستغلال أيّ أحداث للاشتراك في المواجهة ضدّ الاحتلال، أي قبل سنتين من بدء الانتفاضة. وقد استشهد اثنان من شباب الإخوان في المواجهات التي شهدتها جامعة بيرزيت سنة 1986. ويبدو أن قيادة الخارج أعطت للداخل صلاحية اختيار التوقيت المناسب[16].

ثانياً: مرحلة الانتفاضة المباركة 1987–1993:

عرفت الانتفاضة الأولى بـ"الانتفاضة المباركة" وبـ"انتفاضة أطفال الحجارة". وعلى الرغم من أنها لم تكن الانتفاضة الأولى إلا أنها كانت علامة فارقة في التاريخ الفلسطيني؛ فمن خلالها انتقل مركز المقاومة من الخارج إلى الداخل؛ وتميزت بالشمول ومشاركة كافة قطاعات الشعب الفلسطيني واتجاهاته وفئاته العمرية؛ كما تميزت ببروز العامل الديني ودور التيار الإسلامي في إذكاء روح المقاومة وحبّ الاستشهاد.

وكان المكتب الإداري العام للإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة قد اتخذ قرار إطلاق مواجهة الاحتلال، الذي ترافق معه إطلاق حركة المقاومة الإسلامية – حماس، في اجتماع في بيت الأستاذ حسن القيق رحمه الله، في دورا في قضاء الخليل في 1987/10/23. وقد حضر ذلك الاجتماع سبعة أعضاء هم حسن القيق، وعبد الفتاح دخان، وحماد الحسنات، وإبراهيم اليازوري، وعدنان مسودي، وم.م، وف.ص، وغاب عن الاجتماع سعيد بلال رحمه الله. وقد قرر المجتمعون أن يتركوا لكل مدينة الخيار بأن تعمل بالكيفية التي تراها مناسبة[17].

---

[16] انظر: محسن محمد صالح، **دراسات منهجية في القضية الفلسطينية**، ص 408–409 ؛ وانظر أيضاً: مهيب النواتي، **حماس من الداخل** (غزة، فلسطين: دار الشروق، 2002)، ص 49–57 و67–72؛ وانظر حول خلفيات ظهور حماس:

Azzam Tamimi, *Hamas: Unwritten Chapters* (London: Hurst & Co Publishers Ltd., 2007), pp. 10–51.

[17] بلال محمد (محرر)، **إلى المواجهة: ذكريات د. عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2013)، ص 98.

وعندما وقعت حادثة دعس أربعة من العمال الفلسطينيين في 1987/12/8، اجتمعت قيادة الإخوان في قطاع غزة ليلتها، بحضور الشيخ أحمد ياسين، وإبراهيم اليازوري، وعبد العزيز الرنتيسي، وعبد الفتاح دخان، ومحمد شمعة، وصلاح شحادة، وعيسى النشار، وناقشت ما جرى من أحداث، وقررت القيادة تصعيد المواجهات في مختلف مناطق القطاع. وهو ما بدأ فعلاً بعد صلاة فجر يوم 1987/12/9 عندما خرجت المظاهرات من مخيم جباليا. وكان اثنان من تيار الإخوان هما أول شهيدين دشَّنا بدء الانتفاضة المباركة في فلسطين، وهما حاتم أبو سيس ورائد شحادة[18]. وفي 1987/12/14، أصدرت حركة المقاومة الإسلامية بيانها الأول الذي عبرّ عن مجمل سياساتها وتوجهاتها[19].

بالنسبة للإخوان، كان الجديد في حركة حماس أنها:

1. حسمت حالة "التقطُّع" في الأداء الجهادي الإخواني، وحولته إلى حالة دائمة مستمرة.
2. وفرت غطاء حركياً مقاوماً لجماعة الإخوان، يتسم بالمؤسسية التنظيمية، والسياسية، والعسكرية، وله قيادته السياسية المعلنة.
3. نقلت الوضع الداخلي للإخوان الفلسطينيين نقلة نوعية، بحيث أصبح العمل التنظيمي، والتربوي، والتعبوي يخدم الفعل الجهادي واستراتيجية المقاومة.

ترى حماس أنها هي التي حملت عبء إطلاق هذه الانتفاضة في أيامها الأولى، حيث ترافق قرار نزولها للميدان وتصعيد الفعاليات مع اللحظات الأولى للانتفاضة؛ وأن منظمة التحرير وفصائلها لم تشارك بشكل واضح إلاّ بعد حوالي أسبوعين، عندما دعت للإضراب العام في 1987/12/21، ثم شكلت الفصائل المنتمية لمنظمة التحرير "القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة"، وصدر بيانها الأول في 1988/1/8.

وبعد اجتماع للمكتب الإداري العام للإخوان في الضفة والقطاع عقد في 1988/1/10 في القدس في بيت حسن القيق في المدرسة الصناعية في دار اليتيم العربي، اتخذ قرار استمرار الانتفاضة، وتوسع العمل في جميع أنحاء الضفة الغربية، بالوسائل والأعمال نفسها التي حصلت في غزة. أما اختصار حركة المقاومة الإسلامية إلى حماس، فاتفق عليه المكتب الإداري في بيت حسن القيق؛ حيث كان هو صاحب الاقتراح. فقد كان يوضع

[18] انظر: غسان حمدان، **الانتفاضة المباركة: وقائع وأبعاد** (الكويت: دار الفلاح، 1989)، ص 36–38.

[19] انظر نصّ البيان في: المكتب الإعلامي لحماس، **وثائق حركة المقاومة الإسلامية**، سلسلة بيانات الحركة (د.م: المكتب الإعلامي لحماس، د.ت)، ص 17–18. انظر وثيقة رقم 1 في ملحق هذا الكتاب، ص 559.

في البيانات الأولى أحرف: ح.م.س تحت اسم حركة المقاومة الإسلامية، ثم تمَّ إضافة حرف الألف فأصبحت "حماس"[20].

ومن جهة أخرى، لم تكن حماس فصيلاً معروفاً على الساحة الفلسطينية، وعانت لأشهر عديدة من عدم تعامل وسائل الإعلام مع بياناتها وفعالياتها، كما لم تكن حماس قد أفرزت شخصيات سياسية أو إعلامية للتحدث باسمها؛ وهو ما دفع منظمة التحرير وفصائلها إلى الواجهة. غير أن قدرة حماس على تنفيذ فعاليات واسعة على الأرض، وقيادة المظاهرات، وعمل الإضرابات الشاملة، أعطاها الكثير من المصداقية، وأخذ يثير الأسئلة حول الحركة وقياداتها ورموزها.

انتشرت فعاليات حماس بشكل سريع في الضفة الغربية، وبرزت العديد من الرموز والقيادات أمثال الشيخ حامد البيتاوي، ومحمد الحاج، وبسام جرار، وجمال سليم، وجمال منصور، وحسن يوسف، وجمال النتشة؛ وتولت قيادات شبابية الإدارة السرية لأنشطة حماس أمثال محمد صوالحة. وتعرضت حماس في الضفة للعديد من حملات التصفية والاعتقال والمطاردة.

تنازع قيادة الانتفاضة تياران مختلفان هما التيار الإسلامي (حماس والجهاد الإسلامي) وتيار م.ت.ف باستراتيجيات وأهداف متباينة، ولكن بفعاليات نضالية متشابهة، وكانت الجماهير الفلسطينية تستجيب لكلا التيارين. وقد أثار هذا الانقسام الميداني حفيظة قيادة م.ت.ف، التي وجدت في صعود التيار الإسلامي تحدياً كبيراً على الأرض، حيث إنه كان يرفض الانتماء لمنظمة التحرير، وكان له اعتراضاتٌ يراها جوهرية على برنامجها السياسي، وعلى أداء قياداتها ومؤسساتها، وعلى الهيمنة عليها من قبل فصيل معين هو "فتح". وكان التيار الإسلامي يرى أن م.ت.ف لا تعكس التمثيل الحقيقي لحجم القوى السياسية والشعبية على الأرض. ومنذ ذلك الوقت، سيطبع الانقسامُ السياسي والنضالي العملَ الوطني الفلسطيني؛ فلا حماس مستعدة للالتزام ببرنامج م.ت.ف وقراراتها وتعهداتها، ولا قيادة م.ت.ف مستعدة للقيام بعملية إصلاح هيكلي لنفسها ومؤسساتها لتصبح أكثر ديموقراطية، وأقدر على استيعاب كافة الشرائح والتيارات الفلسطينية، وأكثر تعبيراً عن رؤية وطنية شاملة، يلتزم بها الجميع.

[20] بلال محمد، **مرجع سابق**، ص 99.

1. ميثاق حماس:

أصدرت حماس ميثاقها في 1988/8/17. وحسب عدنان مسودي فإن الذي كتب مسودة الميثاق هو عبد الفتاح دخان (أبو أسامة)، وقد اعتمده المكتب الإداري العام للإخوان في الضفة والقطاع، بعد قراءته مرتين في منزل حسن القيق[21]. وقد تمّ توزيعه قبل أن يتمّ تبنيه رسمياً من مؤسسات الحركة الشورية في الداخل والخارج. غير أن الجميع تعامل معه عملياً باعتباره ميثاق الحركة. وجرى توزيعه بشكل واسع في السنة نفسها في الكويت والأردن، بالإضافة إلى الداخل الفلسطيني.

أعلنت حماس نفسها في الميثاق جناحاً من أجنحة الإخوان المسلمين في فلسطين، وامتداداً من امتداداتها، وأنها تعدُّ الإسلام منهجها، منه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها، وإليه تحتكم، ومنه تسترشد خطاها[22]. وتهدف حماس إلى تحرير فلسطين، وإقامة دولة الإسلام عليها، وإعادة الحقوق إلى أصحابها، وتعدُّ نفسها سنداً لكل مستضعف، ونصيراً لكل مظلوم[23]. وترى حماس أن فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصحّ التفريط بها أو بجزء منها، أو التنازل عنها أو عن جزء منها، وأنه لا حلّ لقضية فلسطين إلا بالجهاد في سبيل الله، وأن العمل على تحريرها فرض عين على كلّ مسلم حيثما كان[24].

وأبدت حماس في ميثاقها اهتماماً بتربية الأجيال تربية متكاملة، وأعطت للمرأة المسلمة دوراً لا يقلّ عن دور الرجل في معركة التحرير[25]. ونظرت حماس نظرة احترام وتقدير إلى الحركات الإسلامية، وبادلت الحركات الوطنية الفلسطينية وم.ت.ف الاحترام، لكنها رفضت في الوقت نفسه الفكرة العلمانية، معتبرة أنها لن تؤدي إلى التحرير[26]. وأكدت حماس على اعتبارها حركة إنسانية تلتزم بسماحة الإسلام في النظر إلى أتباع الديانات الأخرى، ولا تعادي إلا من يناصبها العداء[27].

---

[21] **المرجع نفسه**، ص 101.

[22] **ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس)**، آب/ أغسطس 1988، المادة 1و2.

[23] **ميثاق حماس**، المادة 9.

[24] **ميثاق حماس**، المادة 11، و13–15.

[25] **ميثاق حماس**، المادة 16.

[26] **ميثاق حماس**، المادة 23، و25–27.

[27] **ميثاق حماس**، المادة 31.

ومن اللافت للنظر أن قيادة حماس تعاملت مع هذا الميثاق كوثيقة تاريخية عبَّرت عن رؤية شرائح واسعة من الإخوان في تلك الفترة، وليس بالضرورة باعتباره مرجعية دستورية معتمدة وفاعلة وناظمة للعمل. وقد وُجِّهت انتقادات داخلية لبعض المصطلحات والتعبيرات السياسية الواردة فيه، وخصوصاً تلك المتعلقة باليهود. في الوقت نفسه، حرصت قيادات حماس على استخدام لغة سياسية بعيدة عن إمكانية الاتهام بالعداء للسامية، أو قتال اليهود لمجرد أنهم يهود.

وتجدر الإشارة إلى أن خصوم حماس ومناوئيها يستشهدون بالميثاق أكثر بكثير مما يقوم به أعضاء حماس وقيادتها؛ حتى بدا الأمر داخل الحركة وكأن أفرادها قد نسوه. لكن ازدياد حضور الحركة العالمي، وتصاعد الاتهامات الموجهة إليها باللا سامية وبعدم المرونة، من خلال استخدام مواد من الميثاق؛ عزَّز الشعور لدى الحركة في أثناء انتفاضة الأقصى، وخصوصاً في الفترة 2003–2005، إلى أنه قد حان الوقت لإعادة صياغة ميثاقها. ولكن فوزها في الانتخابات التشريعية في 2006/1/25، وما تلاه من حصار وضغوط، علَّق العمل بالمشروع، لئلا يُفهم منه أن حماس غيرت ميثاقها استجابة للضغوط الخارجية[28].

2. حماس والعمل العسكري[29]:

تطورت فعاليات حماس الانتفاضية من الاضرابات، والمظاهرات، ورمي الحجارة، إلى تطوير تدريجي في الفعاليات العسكرية كالهجمات بالسكاكين والأسلحة النارية، واختطاف الجنود، وقتل العملاء، إلى السيارات المفخخة، والعمليات الاستشهادية. وقد أصبح الجهاز العسكري جزءاً ثابتاً وأصيلاً من تركيبة حماس، وعلى الرغم مما تعرض له الجهاز من ضربات سنة 1988، و1989، و1990 على خلفيات فعالياته العسكرية فإن الحركة كانت تعيد بناءه من جديد، وعلى الرغم من حالات المد والجزر فإن الجهاز ظلّ موجوداً، وفاعلاً، ومركزياً.

---

[28] See Azzam Tamimi, *Hamas: Unwritten Chapters*, pp. 150–156.

[29] حول عمليات حماس 1989–1993، انظر: محسن محمد صالح، **الطريق إلى القدس** (القاهرة: مركز الإعلام العربي، 2003)، ص 189–205؛ وغسان دوعر، **موعد مع الشاباك: دراسة في النشاط العسكري لحركة حماس وكتائب عز الدين القسام خلال عام 1993** (لندن: فلسطين المسلمة، 1995)؛ وغسان دوعر، **عماد عقل** (عمّان: فلسطين المسلمة، 1995)؛ وغسان دوعر، **حرب الأيام السبعة: أسود حماس** (عمّان: فلسطين المسلمة، 1993)؛ ومهيب النواتي، **مرجع سابق**، ص 71–90.

في 1988/3/21، قامت المجموعة 101 في الجهاز العسكري لحماس "المجاهدون الفلسطينيون" الذي يقوده الشيخ صلاح شحادة، بمحاولة اختطاف مهندس ومقاول صهيوني في منطقة الشيخ رضوان في قطاع غزة، بيد أن العملية واجهتها صعوبات حالت دون إتمامها، فقامت المجموعة بإطلاق النار عليه وأصابوه بجراح. وتلا ذلك عمليات تفجير عبوات ناسفة في بيت حانون في أيار/ مايو 1988، وفي يوم عيد الأضحى (1988/7/25)، ثم في ذكرى الهجرة النبوية (1988/8/14). كما قتلت المجموعة مستوطناً إسرائيلياً في 1988/8/18، قرب منطقة بيت لاهيا شمال قطاع غزة. ونجحت المجموعة في خطف وقتل الرقيب الصهيوني آفي ساسبورتس Avi Sasportas في 1989/2/3، وفي خطف الجندي إيلان سعدون Ilan Saadon وقتله في 1989/5/3، لكن سرعان ما ضُرب هذا الجناح العسكري في أيار/ مايو 1989 إثر الحملة الشرسة التي قادتها سلطات الاحتلال.

وتعزى بدايات تشكيل جناحها العسكري الحالي "كتائب عزّ الدين القسام" إلى أيار/ مايو 1990 التي حلت محل "المجاهدون الفلسطينيون"، وكان أول شهيد للكتائب هو محمد أبو نقيرة في 1990/12/14، في أثناء اشتباك مع جنود الاحتلال في مدينة رفح. ثم أخذت عمليات كتائب القسام تتزايد وتشتد قوة وتأثيراً. وحسب دراسة للباحث المتخصص بحركة حماس غسان دوعر، فقد نفذت حماس سنة 1993 ما مجموعه 138 عملية خسر الكيان الإسرائيلي حسبما أعلن بنفسه 79 قتيلاً و220 جريحاً[30]. وفي 1993/11/24 استشهد عماد عقل وهو أحد أبرز قادتها العسكريين.

وقد أمكن لحماس تجاوز الصعوبات بوجود نوعية من الرجال مستعدة للتضحية والاستشهاد، ويعترف المحللون الإسرائيليون أن "حماس قد صكّت نماذج جديدة للإنسان الفلسطيني، وهم الاستشهاديون الجدد"[31]. ويذكر أحد الخبراء أن حماس قد أثبتت أنها الرقم الأصعب في المعادلة الفلسطينية[32]. ونسبت صحيفة جيروزاليم بوست The Jerusalem Post الإسرائيلية إلى يفراح تسيلبرمان Yifrah Silberman من معهد ترومان Harry S. Truman Research Institute for the Advancement of Peace

[30] انظر: غسان دوعر، **موعد مع الشاباك**.

[31] انظر: موسى الكيلاني، الرقم الأصعب في المعادلة، صحيفة **الدستور**، عمّان، 1995/2/1.

[32] **المرجع نفسه**.

التابع للجامعة العبرية، وهو خبير مهتم بحماس، قوله عنها "المنظمة تتمتع بالديناميكية، وهذا جزء مهم من سرّ قوتها"[33]. إن قوة أداء حماس على الساحة دفع وزير الإسكان والبناء الإسرائيلي الجنرال بنيامين بن إليعازر Binyamin Ben–Eliezer إلى القول في أواخر آذار/ مارس 1993 "إن أمام إسرائيل خياران، إما الرضوخ وإما مواصلة المواجهة حتى النهاية، ونحن اخترنا الثاني، وعلينا أن نقرر من يحكم هنا: حركة حماس أم حكومة إسرائيل"[34]. كانت معظم خسائر حماس في صفوف كوادرها وعناصرها المدنية خلال فترة الانتفاضة المباركة. ومع التحول التدريجي في الانتفاضة باتجاه العمل المسلح، أخذ يزداد عدد شهداء حماس من عناصر جهازها العسكري، حيث فقدت 44 شهيداً خلال الفترة 1988–1993، حسب إحصائيات كتائب القسام نفسها (انظر جدول رقم (1))[35].

جدول رقم (1): عدد شهداء كتائب القسام في الضفة والقطاع خلال الفترة 1988–1993

السنة	شهداء بعمليات			شهداء في أثناء مهمة جهادية	شهداء آخرون للقسام		المجموع
	استشهادي	اشتباك مسلح	اقتحام مستعمرة		اغتيال بيد العدو	اغتيال بأيد عميلة	
1988	–	1	–	–	–	–	1
1989	–	–	–	1	–	–	1
1990	–	–	–	1	–	–	1
1991	–	–	–	1	–	–	1
1992	–	4	–	2	2	–	8
1993	6	9	–	11	6	–	32
المجموع	6	14	–	16	8	–	44
	20			16	8		

تعرضت حماس لعدة ضربات قاسية وحملات اعتقال واسعة، كان أبرزها في آب/ أغسطس 1988، وجاءت على خلفية مجموعة من العمليات في بيت حانون وجباليا، وتمّ خلالها اعتقال قسم كبير من القيادة المركزية للحركة في القطاع. وفي أيار/ مايو 1989، قامت قوات الاحتلال باعتقال ما يزيد عن ألف من كوادر وأبناء الحركة، وتمّ التحقيق

[33] غسان دوعر، **موعد مع الشاباك**، ص 168–169.

[34] **المرجع نفسه**، ص 229.

[35] انظر: "القسام حقائق وأرقام،" مجلة **قساميون**، وحدة الإعلام المقاوم – كتائب الشهيد عز الدين القسّام، العدد الخاص 5، كانون الأول/ ديسمبر 2007، ص 10.

بأساليب وحشية مع المئات منهم، فأدى ذلك إلى كشف بنية الحركة التنظيمية لأول مرة، وألقي القبض على الشيخ أحمد ياسين في 1989/5/18. وفي الذكرى الثالثة لانطلاقة حماس في 1990/12/14، قامت حماس بقتل ثلاثة إسرائيليين، مما فجر أكبر عملية اعتقال شاملة تتعرض لها الحركة، وجرى مجدداً ضرب أجهزة الحركة. وكان من أبرز الظواهر التي رافقت هذه الضربة انكشاف علاقة الحركة بالخارج، ودورها فيما يجري بالداخل؛ حيث قام الجهاز في الخارج بإرسال قيادي إلى الداخل لإعادة بناء التنظيم وتمويله، وقد استطاع تشكيل القيادة وتنظيم خيوط علاقتها، كما رافق هذه الضربة أول عملية إبعاد جماعي لكوادر من الحركة في 1991/1/8، وهم: عماد العلمي (أبو همام)، ومصطفى القانوع (أبو سائد)، ومصطفى اللداوي، وفضل الزهار.

قامت حماس في 1992/12/13 باختطاف الجندي نسيم توليدانو Nassim Tolidano والمطالبة في مقابل الإفراج عنه بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، وعلى إثر رفض رئيس وزراء العدو إسحق رابين Yitzhak Rabin التجاوب مع مطالبها قامت الحركة بتصفية الجندي، وهو ما دفع رابين للإعلان في الكنيست Knesset عن الحرب الشاملة على حركة حماس؛ فتم اعتقال 1,300 من أنصارها، كما أقدمت السلطات الإسرائيلية على أكبر عملية تهجير وإبعاد بعد حرب 1967، عندما قامت بإبعاد 415 غالبيتهم الساحقة (نحو 380) من القيادات الإسلامية المدنية المحسوبة على حماس. غير أن رفض المبعدين للإبعاد وصمودهم في "مرج الزهور" على الحدود مع لبنان، أكسبهم المعركة الإعلامية الدولية ضدّ الاحتلال، ووسع دائرة الاهتمام بحركة حماس وزاد من شعبيتها، مما اضطر السلطات الإسرائيلية إلى الموافقة على العودة التدريجية للمبعدين، والتي اكتملت بعد عام من الإبعاد[36].

3. حماس في الخارج[37]:

أربك احتلال صدام حسين للكويت عمل حركة حماس مؤقتاً، ففضلاً عن مأساة نحو 430 ألف فلسطيني هناك، وفضلاً عن انزواء الاهتمام بالانتفاضة مقابل انشغال العالم بحرب الخليج 1991/1990، فإن "دينامو" عمل حماس في الخارج كان في الكويت،

[36] انظر: أعداد مجلة **فلسطين المسلمة**، التي غطت عملية الإبعاد وأخبار المبعدين بالتفصيل طوال سنة 1993.

[37] مقابلة أجراها الباحث مع إبراهيم غوشة، عمّان، 1998/8/16؛ ومقابلة أجراها الباحث مع موسى أبو مرزوق، عمّان، 1998/8/12؛ وانظر:
Azzam Tamimi, *Hamas: Unwritten Chapters*, pp. 66–78.

حيث تقيم الكثير من قياداتها، أمثال خالد مشعل، ومحمد نزال، وعزت الرشق، وسامي خاطر... وغيرهم. غير أن حماس الخارج سرعان ما أعادت ترتيب أوراقها، وقامت بنقل ثقلها للأردن، مستفيدة من أجواء التعاطف الشعبي الواسع معها، ومن نفوذ الإخوان المسلمين الكبير في الأردن، وهو ما أسهم في تحقيق نقلة نوعية للحركة في الخارج. ومع قدوم موسى أبو مرزوق وعماد العلمي، واستقرارهما في الأردن، أمكن لحماس أن تلم إلى حدٍّ كبير شتات قيادتها ومكتبها السياسي في الخارج.

أخذت حماس في الخارج تُبرز تدريجياً عدداً من عناصرها، فقد شارك إبراهيم غوشة في وفد الوساطة الشعبية العربية والإسلامية التي حاولت إقناع صدام بالانسحاب من الكويت سنة 1990، كما مثل غوشة حماس في زيارة إلى ليبيا لتأسيس ما يسمى "القيادة الشعبية الإسلامية" في السنة نفسها. وفي أواخر السنة التالية، قررت حماس إعلان إبراهيم غوشة ناطقاً رسمياً باسمها، حيث تابع عمله في هذا المنصب حتى أواخر سنة 1999. وفي سنة 1991 تمّ تسمية عماد العلمي ممثلاً لحماس في طهران، ثم تتابع إعلان محمد نزال ممثلاً لحماس في الأردن، ومنير سعيد ممثلاً لحماس في السودان، وموسى أبو مرزوق رئيساً للمكتب السياسي للحركة.

كانت بداية اتصال حماس مع الدول الغربية، عندما اتخذت قيادة الحركة قراراً بالاتصال بالدول الأوروبية، وأمريكا إن أمكن، للطلب من هذه الدول التحرك في مجلس الأمن الدولي United Nations Security Council وغيره لإعادة مبعدي مرج الزهور، باعتبار أن هذا الإبعاد مخالف لاتفاقية جنيف الرابعة Fourth Geneva Convention، وطلب من إبراهيم غوشة بصفته الناطق الرسمي أن يجري هذه الاتصالات، فالتقى في عمّان في أوائل سنة 1993 المستشار السياسي في السفارة الأمريكية، والسفير البريطاني، والسفير الألماني، والسفير الإيطالي، وسفيرة النرويج. وفي نهاية شهر آذار/ مارس 1993 أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية قراراً بحظر الاتصال بحركة حماس، ووضعها على القائمة المحظور اللقاء معها.

4. العلاقة مع م.ت.ف والفصائل الفلسطينية:

تمكنت حماس من فرض نفسها نضالياً في هذه الانتفاضة، وشكلت قوة موازية لحركة فتح وفعالياتها، لكنها لم تتمكن من فرض نفسها سياسياً. وقامت قيادة المنظمة وفتح بالاستثمار السياسي للانتفاضة، فكان إعلان الدولة الفلسطينية والاعتراف

بقرارات الأمم المتحدة United Nations (UN)، بما في ذلك قرار مجلس الأمن رقم 242، في المؤتمر الوطني الفلسطيني الـ 19 في 1988/11/15، ثم الدخول في مباحثات مع الأمريكان. واستفادت "إسرائيل" وأمريكا من انهيار الاتحاد السوفييتي، ومن التشرذم والضعف العربي والإسلامي الذي نتج عنه احتلال صدام حسين للكويت، وما تلاه من حرب أضعفت العراق، وكرست الهيمنة الأمريكية على المنطقة؛ فكان مؤتمر مدريد Madrid Conference نهاية تشرين الأول/ أكتوبر 1991، ثم اتفاقية أوسلو Oslo Accords التي وقعت في 1993/9/13.

حاولت قيادة م.ت.ف، وتحديداً التيار السائد فيها أي فتح بقيادة ياسر عرفات، استيعاب حماس ضمن أطرها، حتى تتمكن من التحدث باسم كافة القوى الفلسطينية، ولكن دونما أيّ رغبة جدية في إحداث تطوير بنيوي للمنظمة، أو القيام بمراجعة سياسية. وقد علّق إبراهيم غوشة على تجربة الحوار مع م.ت.ف بأن قيادتها تلجأ للحوار عندما تكون في مأزق، وعندما تريد أن تحصل على شيء[38].

عرضت م.ت.ف على حماس بعض مقاعد المجلس الوطني الفلسطيني سنة 1988، غير أن حماس رفضت المشاركة. وفي نيسان/ أبريل 1990 طالبت حماس بـ 40% من مقاعد المجلس، وبتغييرات جوهرية في سياسة المنظمة كشرط لدخوله. وفي الفترة 10–1990/8/12، أي بعد احتلال الكويت بأسبوع، تمّ اللقاء الأول بين حماس وفتح لمدة ثلاثة أيام في اليمن، وكان وفد حماس برئاسة إبراهيم غوشة، أما وفد حركة فتح فقاده أكرم هنية، مستشار عرفات السابق. وفي 1990/9/21 وقع "اتفاق الشرف" بين فتح وحماس، لتنسيق الجهود في مواجهة العدو بما يعزّز الوحدة الوطنية[39].

وفي آب/ أغسطس 1991 عقد لقاء بين حماس وفتح في الخرطوم بدعوة من الرئيس عمر البشير؛ كان وفد حماس برئاسة إبراهيم غوشة، ووفد فتح برئاسة ياسر عرفات، وكان عرفات يريد موافقة حماس على الدخول في المجلس الوطني المرتقب، والذي كان سيأخذ قراراً بالتوجه إلى مدريد، وكان حريصاً على أن يكون الإسلاميون في هذا المجلس. وفي أواخر سنة 1992 حدث لقاء في تونس، والتقى وفد برئاسة موسى أبو مرزوق مع ياسر عرفات للتنسيق بشأن مبعدي مرج الزهور. وفي 1993/1/2 جرى في الخرطوم حوار بين

[38] صحيفة **الأسواق**، عمّان، 8–1995/3/9.

[39] انظر: إبراهيم غوشة، **المئذنة الحمراء: سيرة ذاتية** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2008)، ص 167.

وفد من فتح برئاسة ياسر عرفات ووفد من حماس برئاسة موسى أبو مرزوق. وقد أسهمت هذه اللقاءات في إذابة بعض الجليد بين الطرفين، لكنها لم تتمكن من ردم الهوة الواسعة بينهما[40].

تمكنت حماس من تقوية حضورها على الساحة السياسية الفلسطينية، من خلال أول تشكيل جبهوي عريض، يقف في مواجهة مسار التسوية، وقد تمّ تشكيله قبيل انعقاد مؤتمر مدريد نهاية تشرين الأول/أكتوبر 1991. وتكوّن من حماس، والجبهة الشعبية، والجبهة الديموقراطية، وحركة الجهاد الإسلامي، وفتح الانتفاضة، والقيادة العامة، وفتح المجلس الثوري، والصاعقة، وجبهة النضال الشعبي، والحزب الشيوعي الثوري. أما الإعلان الرسمي عن ميلاد صيغة "الفصائل العشر" فقد تأخر حتى 1992/9/29، وتمّ دخول جبهة التحرير الفلسطينية بديلاً عن فتح المجلس الثوري. وبعد التوقيع على اتفاق أوسلو، قدمت حماس تصوراً لتطوير الصيغة الجبهوية القائمة "الفصائل العشر" إلى "تحالف القوى الفلسطينية"؛ وتنازلت الحركة عن مطلبها في تطبيق نظام الحصص؛ باعتبار حجم الفصيل على الأرض، نظراً للحساسية التي نظرت بها الفصائل إلى هذه الصيغة. وقد تمّ الإعلان رسمياً عن قيام ما سمي "تحالف القوى الفلسطينية" في أوائل سنة 1994، في العاصمة السورية دمشق. وقد وضع ذلك حماس في وضع سياسي قويٍّ، حيث قادت تحالفاً واسعاً، إسلامياً وقومياً ويسارياً، في مواجهة مسار التسوية الذي تقوده فتح.

ثالثاً: مرحلة أوسلو 1993–2000:

أنشئت السلطة الفلسطينية إثر ما عرف باتفاق أوسلو، الذي وقع بالأحرف الأولى في 1993/8/19 في أوسلو بالنرويج، ثم تمّ التوقيع عليه رسمياً في 1993/9/13 في واشنطن. وتضمن الاتفاق حكماً ذاتياً في قطاع غزة وأريحا أولاً، على أن يغطي مناطق فلسطينية في الضفة والقطاع لاحقاً، ولم يتم التعرض لأخطر القضايا كالقدس، واللاجئين، والمستعمرات، والحدود، والسيادة، حيث تمّ تأجيلها إلى مرحلة المفاوضات النهائية.

[40] انظر: **المرجع نفسه**، ص 184 و199.

عدّت السلطة اتفاق أوسلو مدخلاً لبناء الدّولة الفلسطينية، وسعت إلى أن تكون هي السلطة الوحيدة في مناطقها، وقامت في سبيل فرض سيطرتها بإنشاء قوّة أمنية كبيرة. ووفق اتفاقية أوسلو وما تلاها فقد تعهدت السلطة بفرض الأمن ومنع حملات الدعاية والتحريض ضدّ "إسرائيل"، واتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لمنع الاعتداءات ضدّ "إسرائيل" أو أيّ من أفرادها. ولقد لعب الجانب الإسرائيلي هذه الورقة بمهارة وابتزاز لدفع السلطة لضرب المقاومة الفلسطينية للاحتلال وخصوصاً حركتي حماس والجهاد الإسلامي.

رأت الأطراف الفلسطينية المعارضة نفسها غير معنية باتفاقيات أوسلو، واستمرّت في عمليات المقاومة المسلّحة للاحتلال الإسرائيلي. وقد رأت السلطة الفلسطينية ذلك تحدّياً لسلطتها، وخرقاً لالتزاماتها، وإفساداً لحلم الدولة الفلسطينية المرتقبة، أما المعارضة فكانت ترى أن سقف اتفاقيات أوسلو لا يسمح بإنشاء دولة فلسطينية كاملة السيادة على الضفة والقطاع، كما لا يسمح بعودة اللاجئين، وأن الاتفاقيات لم تقدم أيّ التزام جوهري من قبل "إسرائيل"، في الوقت الذي قُدّمت فيه تنازلات هائلة من الطرف الفلسطيني، وأن ذلك جعل "إسرائيل" في وضع مريح سيطيل أمد الاحتلال، فضلاً عن إضاعة الحقوق؛ ولذلك فلا بدّ من استمرار المقاومة.

وقد أصرت المعارضة (حماس ومن يدعم خطّ المقاومة) على استمرار المقاومة المسلحة، لكنها عدّت الدم الفلسطيني خطاً أحمر، وامتنعت عن أيّ مواجهات مع السلطة قد تؤدي إلى حرب أهلية. وسعت إلى تبني معارضة بناءة تستهدف كشف عورات اتفاقيات التسوية، والمحافظة على حقّ الشعب الفلسطيني في أرضه ومقدساته، وحماية الحريات السياسية، وحقّ التعبير وحرية الصحافة. وركزت في حال تعرضها لضربات السلطة وملاحقاتها على الانتقام من الكيان الإسرائيلي، بمعنى أنها جعلت العلاقة ثلاثية الأضلاع، فإذا ما أدى الضغط الإسرائيلي على السلطة إلى ضغط السلطة على حماس، فإن حماس ستتجه إلى الضغط على الجانب الإسرائيلي من خلال تصعيد العمل المسلح ضده[41].

[41] انظر بالتفصيل: حفيظ علاوي وهاني سليمان، "علاقات الحركة على الساحة الفلسطينية،" في جواد الحمد وإياد البرغوثي (محرران)، **دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية: حماس: 1987–1996** (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1997)، ص 225–285.

سعت السلطة إلى حلّ مشكلتها مع المعارضة وخصوصاً المعارضة الإسلامية التي تشكل التحدي الأكثر جدية والأكثر مقاومة للاحتلال، وتحديداً حركة حماس التي تتمتع بوجود ينافس حركة فتح، خصوصاً في الاتحادات الطلابية، والنقابات المهنية، والغرف التجارية، والبلديات، من خلال ثلاثة محاور:

1. الحوار.
2. الاحتواء.
3. القمع، والاعتقال التعسفي، ومحاولات التهميش والتشويه.

وقد استفادت السلطة من آلتها الأمنية، ومن حالة الدعم الذي تجده في هذا المجال من قبل الإسرائيليين والأمريكان وحتى الأنظمة العربية. أما شعارها الوطني الذي حمل عنوان هذه الحملة فهو "منع ازدواجية السلطة".

أما من الناحية العملية، فإن مسيرة الأحداث لم تمنع من حدوث احتكاكات وصدامات مؤسفة. فمع كلّ عملية مقاومة ضدّ "إسرائيل"، كانت السلطة الفلسطينية تقوم بحملة اعتقالات واسعة في صفوف حماس، والجهاد الإسلامي، وفصائل المعارضة. ومنذ أيار/ مايو 1994 وحتى آب/ أغسطس 1995، شنت السلطة الفلسطينية 12 حملة اعتقال شملت أكثر من ألف فلسطيني[42]. وخلال شهر واحد فقط (1995/5/19–4/19) داهمت زهاء 57 مسجداً 138 مرة، حيث تعرضت للتفتيش، والعبث، والتخريب[43]. وفي 1995/2/7 أصدر ياسر عرفات قراراً بإنشاء "محكمة أمن الدولة" وهي محكمة عسكرية قضاتها من ضباط الأمن، وبدأت عملها في 1995/4/9. وحتى 1995/5/27، كانت قد حاكمت ما لا يقل عن 33 شخصاً معظمهم من حماس أو الجهاد الإسلامي، وتمت المحاكمات بعد منتصف الليل وبشكل سري ولم تشهدها الصحافة أو الإعلام، وبعضها لم يستغرق سوى دقائق معدودة. وقد دانت منظمة العفو الدولية Amnesty International هذه المحاكم وطالبت السلطة الفلسطينية بإيقافها فوراً[44]. وكان أحد ضحايا هذه المحاكم

[42] صحيفة **الرأي**، عمّان، 1995/8/25.

[43] داود سليمان، **السلطة الوطنية الفلسطينية في عام 1994–1995** (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1995)، ص 135.

[44] انظر: **المرجع نفسه**، ص 75–83؛ ومنظمة العفو الدولية، **محاكمة منتصف الليل: المحكمات السرية والفورية والجائرة في غزة** (المملكة المتحدة: منظمة العفو الدولية، حزيران/ يونيو 1995)، رقم الوثيقة MDE15/15/95.

سيد أبو مسامح، أحد قيادات حماس، الذي حوكم ليلة 1995/5/14، وصدر عليه الحكم بالسجن ثلاث سنوات بتهمة "التشهير" بالسلطة و"التحريض" ضدها[45].

وكان من أكثر الأحداث المؤسفة دموية ما يعرف بـ"مجزرة الجمعة الأسود"، التي ارتكبتها السلطة ضدّ المصلين، الذين كانوا ينوون الخروج بمسيرة سلمية بعد صلاة الجمعة من مسجد فلسطين بغزة، باتجاه منزل الشهيد هشام حمد وذلك في 1994/11/18، مما أدى لاستشهاد 13 مصلياً وجرح أكثر من 200 آخرين[46].

وقد زادت حدة التوتر مع السلطة عندما قامت باعتقال عدد من قيادات حماس في قطاع غزة في أواخر حزيران/ يونيو 1995، بينهم محمود الزهار وأحمد بحر، وخضعوا للتعذيب والإهانة، وحُلقت لحاهم التي تعدّ رمز التزامهم الإسلامي، مما أثار غضباً واسعاً في الساحة الفلسطينية[47]. غير أن أشد حملات الاعتقال قد تمّت في شهري آذار/ مارس ونيسان/ أبريل 1996 بعد سلسلة العمليات الاستشهادية التي هزت الكيان الإسرائيلي، وقد طالت هذه الاعتقالات أكثر من ألف من نشطاء حماس والجهاد الإسلامي وخضعوا للتعذيب، واستهدفت البنية التحتية للتيار الإسلامي، فأغلقت المدارس، والجمعيات الخيرية، ولجان الزكاة، ورعاية الأيتام التي يديرها أنصار حماس والجهاد الإسلامي[48]. وقد أشاد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي أمنون شاحاك Amnon Lipkin–Shahak، ورئيس جهاز الأمن العام (الشاباك) Israel Security Agency—ISA (*Shabak*) عامي أيالون Ami Ayalon بالتحرك "المنهجي" الذي يقوم به ياسر عرفات ضدّ حماس[49].

ومن جهة أخرى، شنت السلطة الفلسطينية حرباً إعلامية ضدّ حركة حماس واتهمتها بالتواطؤ مع الليكود Likud الإسرائيلي المتشدد لإسقاط حكومة حزب العمل Labor وتعطيل التسوية، واتهمتها بتلقي الدعم المادي والأوامر من إيران،

---

[45] منظمة العفو الدولية، **محاكمة منتصف الليل**، ص 20؛ وصحيفة **الحياة**، لندن، 1995/5/16.

[46] انظر: مجلة **فلسطين المسلمة**، الأعداد: كانون الأول/ ديسمبر 1994، وكانون الثاني/ يناير 1995.

[47] انظر: صحيفة **الشرق الأوسط**، لندن، 1995/6/27؛ و**الرأي**، عمّان، 1995/7/2؛ و**فلسطين المسلمة**، آب/ أغسطس 1995.

[48] تناولت معظم الصحف والمجلات هذه الحملات، انظر مثلاً: مجلة **المجتمع**، الكويت، 1996/6/29.

[49] **الرأي**، عمّان، 1996/4/18.

كما ادعت أن حماس تعدُّ لحرب ضدّ السلطة واغتيال ياسر عرفات. وحاولت السلطة شقّ حركة حماس وإظهار وجود معتدلين ومتشددين، ووجود تيار "الداخل" وتيار "الخارج" وتعارضهما. كما حاولت استقطاب بعض عناصر حماس كما حدث مع عماد الفالوجي الذي فصلته حماس من عضويتها، بينما تلقفته السلطة وأدرجته على قوائم فتح في انتخابات الحكم الذاتي (كانون الثاني/ يناير 1996) وعينته وزيراً في السلطة الفلسطينية، ودعمت تشكيل أحزاب إسلامية أخرى خرج أفرادها عن مظلة حماس، مثل حزب الوطن برئاسة خضر محجز، وحزب المسار الوطني الإسلامي برئاسة محمود أبو دان[50].

أما حماس فقد أصرت على الالتزام بسياستها العامة ورفضت التخلي عن المقاومة المسلحة، كما رفضت الدخول في مواجهات مع السلطة، لكنها استمرت بالتعبير بصراحة وقوة عن موقفها من السلطة وأدائها وممارساتها. وقد نوّه هاني الحسن، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، بـ"موقف الأخوة في حماس، لأنهم مارسوا ضبطاً للنفس يشكرون عليه، وسيسجله لهم التاريخ"[51].

وجرت بين حماس وفتح عدة حوارات رسمية وغير رسمية منذ دخول السلطة الفلسطينية قطاع غزة في أيار/ مايو 1994؛ فبعد مجزرة مسجد فلسطين "الجمعة الأسود" في تشرين الثاني/ نوفمبر 1994، تمّ تشكيل لجنة مشتركة بين الطرفين للتحقيق وتجاوز الأزمة، دون أن تحقق أيّ نتائج ملموسة[52].

وفي آب/ أغسطس 1995 دعا الشيخ أحمد ياسين من سجنه أبناء الشعب الفلسطيني إلى وضع صيغة للتفاهم وللمحافظة على وحدة الشعب، وسلامته، ومستقبله[53]. وفي 1995/9/4 دعت حماس إلى حوار وطني شامل وجاد، يكون مُلزِماً لكل الجماعات المؤثّرة في الساحة بما فيها السلطة والمعارضة، والهدف هو التوصل إلى تفاهم ينظم

[50] انظر: **الدستور**، 1995/8/31؛ و**الأسواق**، 1995/9/20؛ و**الرأي**، عمّان، 11 و1996/4/23.

[51] **الحياة**، 1995/8/21.

[52] انظر: مجلة **الوسط**، لندن، 1995/12/25.

[53] **الرأي**، عمّان، 1995/8/27.

طبيعة العمل الوطني الفلسطيني[54]، وفي اليوم التالي رحبت السلطة بدعوة حماس للحوار[55]. وشهدت تلك الفترة نشاطاً ملحوظاً في الأوساط المختلفة لتشجيع الحوار، وقد تكللت الجهود بانعقاد الحوار في القاهرة بين السلطة الفلسطينية وحماس في 18–1995/12/21، برئاسة سليم الزعنون عن السلطة وخالد مشعل عن حماس. وقد سعت السلطة إلى هذا اللقاء، لخوفها من احتمال إفشال حماس لانتخابات الحكم الذاتي الفلسطيني في الضفة والقطاع؛ وحاولت إقناع حماس بالمشاركة فيها، وبوقف عملياتها ضدّ الكيان الإسرائيلي، وبالمعارضة تحت سقف اتفاقيات أوسلو، وبما لا يخل بالتزامات السلطة تجاه عملية السلام. وخلال هذا الحوار أصرت حماس على مقاطعة الانتخابات، لكنها التزمت بعدم إفشالها بالقوة أو إجبار أحد على المقاطعة، كما أكدت على استمرار عملياتها المسلحة ضدّ الكيان الإسرائيلي[56].

وعلى أيّ حال، فمنذ سنة 1996 لم تعد السلطة الفلسطينية تشعر بضرورة الحوار مع حماس وقوى المعارضة، خصوصاً وأنها تمكنت من بسط سيطرتها على مناطقها، وتمكنت من إحباط عشرات العمليات التي حاولت حماس والقوى المعارضة تنفيذها. وكانت اللغة الأمنية القمعية هي اللغة العامة التي استخدمتها السلطة للتعامل مع حماس معظم الفترة منذ 1996 وحتى اندلاع انتفاضة الأقصى، وهو خطٌّ تَعامَلَ مع حماس كحركة "مشاغبة" ولكن "تحت السيطرة".

وتابعت أجهزة الأمن الفلسطينية حملات اعتقالها وانتهاكها لحقوق الإنسان، ففي كانون الثاني/ يناير 1997 أعلنت منظمات حقوق الإنسان أن هناك 1,600 فلسطيني معتقل في سجون السلطة بينهم 700 دون تهم أو محاكمة[57]. وتكرر اعتقالها لعدد من قادة حماس الكبار أمثال عبد العزيز الرنتيسي، ومحمود الزهار، وحسن يوسف، وجمال سليم، وقائد كتائب القسام محمد الضيف، بل ووضع الشيخ أحمد ياسين رهن الاعتقال في منزله.

---

[54] **الحياة**، 1995/9/5.

[55] **الدستور**، 1995/9/6.

[56] انظر: **الدستور**، 1995/12/23؛ و**الرأي**، عمّان، 1995/12/24.

[57] Palestine Facts, Palestine Chronology, February 1997, site of Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs (PASSIA), http://www.passia.org/palestine_facts/chronology/1997.htm

ومنذ سنة 1994، زادت صعوبات العمل الجهادي إثر دخول السلطة الفلسطينية إلى مناطق الضفة والقطاع، ومع ذلك فإن الفعالية النوعية لأدائها قد تزايدت. وقامت حماس بتنفيذ خمس عمليات قاسية انتقاماً لمجزرة الحرم الإبراهيمي التي ارتكبها الضابط الإسرائيلي باروخ جولدشتاين Baruch Goldstein في المصلين المسلمين، في أثناء تأديتهم لصلاة الفجر في الحرم الإبراهيمي، مما أدى لاستشهاد 29 مسلماً وجرح أكثر من 300 آخرين. وتمكنت حماس في العمليات الخمس، وحسبما ذكرته المصادر الإسرائيلية، من قتل ما مجموعه 39 إسرائيلياً وجرح 158. وقد برز نجم يحيى عياش في تلك الفترة، والذي عُدَّ مسؤولاً عن العمليات الاستشهادية التي اشتهرت بها حماس[58].

وفي 1996/1/5 استشهد يحيى عياش، وقد ردَّت حماس بقوة على استشهاده في الفترة 2/25–1996/3/3، مما أسفر عن قتل 45 إسرائيلياً وجرح 113 آخرين حسب المصادر الإسرائيلية. وقد أدت هذه العمليات إلى حملة شرسة منسقة لاجتثاث حماس تولتها السلطة الفلسطينية والسلطات الإسرائيلية، كما استدعت عقد مؤتمر دولي لما أسموه "مكافحة الإرهاب" بحضور زعماء الدول الكبرى وعدد من زعماء العرب والعالم. لكن حماس تمكنت من استيعاب الصدمة حيث عادت للعمليات العسكرية التي ظهرت بشكل واضح سنة 1997، وبرز في القيادة العسكرية محي الدين الشريف، وعادل عوض الله، وعماد عوض الله الذين استشهدوا سنة 1998.

عانت حماس وفصائل المقاومة من فعالية التنسيق الأمني بين السلطة و"إسرائيل"، فلم تنفذ حماس في سنتي 1997 و1998 سوى عمليتين استشهاديتين، بالإضافة إلى عدد من العمليات التي لم تؤثر على المسار العام للتسوية والمفاوضات. ويوضح الجدول التالي عدد شهداء كتائب القسام في القطاع والضفة في الفترة 1994/1/1–1999/12/31[59]:

---

[58] انظر حول يحيى عياش: غسان دوعر، **المهندس: الشهيد يحيى عياش رمز الجهاد وقائد المقاومة في فلسطين** (لندن: فلسطين المسلمة، 1997).

[59] انظر: "القسام حقائق وأرقام،" مجلة **قساميون**، وحدة الإعلام المقاوم – كتائب الشهيد عز الدين القسّام، العدد الخاص 5، كانون الأول/ ديسمبر 2007، ص 10.

جدول رقم (2): عدد شهداء كتائب القسام في الضفة والقطاع
خلال الفترة 1994/1/1–1999/12/31

السنة	شهداء بعمليات			شهداء في أثناء مهمة جهادية	شهداء آخرون للقسام		المجموع
	استشهادي	اشتباك مسلح	اقتحام مستعمرة		اغتيال بيد العدو	اغتيال بأيد عميلة	
1994	5	11	–	2	10	–	28
1995	4	4	–	1	11	–	20
1996	4	–	–	–	4	–	8
1997	6	–	–	1	–	–	7
1998	1	–	–	–	3	–	4
1999	3	–	–	1	–	–	4
المجموع	23	15	–	5	28	–	71
	38			5	28		

ولعل استطلاعات الرأي، التي نفذها مركزا القدس ونابلس، أعطت إيحاءً مريحاً للسلطة بالمضي في نهجها في تلك الفترة؛ فبحسب مركز القدس، هبطت شعبية حماس إلى أدنى مستوياتها في آب/ أغسطس 1996 لتصل إلى 6.5% فقط[60]، بعد أن كانت 18.2% في حزيران/ يونيو 1995. وظلت النسبة تتراوح بين 10–13% خلال السنوات الأربع التالية، ما عدا تشرين الثاني/ نوفمبر 1997 حيث حصلت على 17.3%[61]، بمعنى أنها لم تعد تشكل تحدياً جدياً للسلطة، وبالتالي ضعفت قدرتها على التأثير في آلية القرار السياسي.

حماس في الخارج[62]:

حدث ترسيم للعلاقات بين حماس والحكومة الأردنية برئاسة زيد بن شاكر، في أواخر سنة 1992 وأوائل سنة 1993، حيث سمحت الحكومة لحماس، بموجب اتفاق غير مكتوب "جنتلمان" gentlemen's agreement، بالعمل السياسي والإعلامي

[60] JMCC Public Opinion Poll No. 16 On Palestinian Attitudes Towards Current Issues, August 1996, site of Jerusalem Media and Communications Centre (JMCC), http://www.jmcc.org/documentsandmaps.aspx?id=495

[61] JMCC Public Opinion polls, http://www.jmcc.org/polls.aspx

[62] حول هذا الموضوع، انظر: مقابلة أجراها الباحث مع إبراهيم غوشة، 1998/8/16؛ ومقابلة أجراها الباحث مع موسى أبو مرزوق، 1998/8/12؛ ومقابلة أجراها الباحث مع خالد مشعل، عمّان، 1998/8/19؛ وانظر أيضاً: Azzam Tamimi, *Hamas: Unwritten Chapters*, pp. 79–134.

في الأردن، شرط عدم التدخل في الشأن الأردني، وذلك بعد اجتماع بين قيادة حماس بحضور موسى أبو مرزوق، وإبراهيم غوشة، ومحمد نزال، وبين زيد بن شاكر، ونائبه ذوقان الهنداوي.

وتابعت قيادة حماس ممارسة أعمالها في الأردن بشكل طبيعي بعد اتفاق أوسلو، غير أن طبيعة تعامل الحكومة الأردنية معها أخذ بالتحول تدريجياً باتجاه سلبي، مع عقد الأردن اتفاقية تسوية سلمية مع "إسرائيل" في 1994/10/26، ومع ضرب السلطات الأردنية لبعض البنى التحتية لحماس؛ ومع توتر العلاقة بين الحكومة من جهة، وبين الإخوان المسلمين وجبهة العمل الإسلامي من جهة أخرى؛ بالإضافة إلى ضغوط وشكاوى السلطة الفلسطينية لما يسببه نشاط حماس لها من إزعاج. وفي أيار/ مايو 1995 طلبت السلطات الأردنية من موسى أبو مرزوق وعماد العلمي مغادرة الأردن، حيث اضطرا للسفر إلى دمشق.

وقد سافر موسى أبو مرزوق إلى الولايات المتحدة في 1995/7/25، حيث تمّ اعتقاله، دونما أدلة منطقية ثابتة، مع العلم أنه يحمل وعائلته بطاقة الإقامة الدائمة "البطاقة الخضراء" Green Card. وقد طالبت "إسرائيل" بتسليمه، وسمح القضاء الأمريكي بذلك في 1996/5/8. وقد حذرت حماس من طرفها الولايات المتحدة من مغبة تسليم أبو مرزوق، قائلة إنها لا تريد فتح معركة مع أمريكا، وأن معركتها محصورة بالاحتلال الإسرائيلي، غير أن تسليم أبو مرزوق هو عمل عدائي وخطّ أحمر قد يؤدي "إلى ما لا تحمد عقباه". ويظهر أن السلطات الأمريكية حملت تهديد حماس محمل الجد، وقررت الإفراج عن أبي مرزوق وإبعاده بعد نحو سنة ونصف من اعتقاله.

تولى خالد مشعل رئاسة المكتب السياسي لحماس في إثر اعتقال أبي مرزوق. وفي 1997/9/25 تعرض مشعل لمحاولة اغتيال من قبل اثنين من عناصر جهاز الاستخبارات الخارجية الإسرائيلية (موساد) Mossad في العاصمة الأردنية عمّان؛ غير أنه تمّ القبض على العميلين؛ بعمل بطولي من مرافق مشعل. وتدخل الملك حسين، الذي شعر بالاستياء الشديد من الإسرائيليين لخرقهم الاتفاق مع الأردن بعدم القيام باغتيالات على أرضه، وكادت العلاقات بين "إسرائيل" والأردن أن تتأزم. غير أن "إسرائيل" سارعت بإرسال "الترياق" لعلاج مشعل من المادة الكيميائية التي اخترقت أذنه، كما قامت بإطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين، الذي كان يقضي عقوبة بالسجن المؤبد مرتين و15 سنة أخرى. وفي المقابل، أطلق الأردن سراح عميلي الموساد.

تحولت محاولة الاغتيال الإسرائيلية إلى نصر سياسي وإعلامي لحركة حماس. وعزَّز إطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين من عملية إعادة تنظيم حماس في قطاع غزة، وتنظيم العلاقة بين حماس في الداخل والخارج. وحققت جولة الشيخ ياسين على السعودية، والكويت، والإمارات، وسورية، وقطر، والسودان، واليمن، وإيران، في الفترة 2/19–1998/6/24، نجاحاً كبيراً؛ ووثقت صلة حماس بهذه البلدان.

وفي أواخر صيف 1999 عادت العلاقة للتأزم بين الأردن وحماس، إذ بعد مغادرة وفد حماس لزيارة طهران، قامت السلطات الأردنية باعتقال 16 شخصاً من أعضاء حماس والعاملين في مكاتبها في 1999/8/30، وأغلقت جميع مكاتب الحركة، وأعلنت بأن الحركة أصبحت محظورة قانونياً. وعاد وفد حماس للأردن في 1999/9/21 على الرغم من التهديدات باعتقاله؛ وبالفعل، تمّ القبض على خالد مشعل وإبراهيم غوشة فور عودتهما. وفي 1999/11/21، قامت السلطات الأردنية بإبعاد خالد مشعل، وإبراهيم غوشة، وسامي خاطر، وعزت الرشق إلى قطر؛ على الرغم من أنهم يحملون جميعاً الجنسية الأردنية. وقد دشَّن ذلك قطيعة مع حماس استمرت لسنوات.

وهكذا، خسرت حماس ساحة عمل واسعة في الأردن، ولكنها على ما يبدو لم تخسر شعبيتها واحترامها في الشارع الأردني. وفي المقابل، أخذت حماس تعيد ترتيب أوراقها في الخارج، وحققت مكاسب سياسية من خلال انفتاح قطر وسورية عليها، حيث بدأت قيادة حماس في التوافد على سورية التي رحبت بها، ووفرت لها الغطاء المناسب لعملها.

رابعاً: مرحلة انتفاضة الأقصى 2000–2005:

"أرادوا جرّنا للمساومة، فجررناهم للمقاومة"!! بهذه الجملة اختصر الشيخ أحمد ياسين جوهر الخلاف بين السلطة الفلسطينية ومن خلفها حركة فتح، وبين حماس والقوى المعارضة للتسوية السلمية، كما اختصر طبيعة النجاح الذي حققته حماس من خلال انتفاضة الأقصى.

كانت حماس ومعارضو التسوية يرون أن اتفاقية أوسلو تحمل بذور فشلها في ذاتها، وأن ذلك سينكشف إن عاجلاً أو آجلاً خصوصاً عند الاصطدام بصخرة الاتفاقيات النهائية، ومستقبل القدس، واللاجئين، والمستعمرات، والدولة وسيادتها. وهو ما تحقق بالفعل إثر انهيار مفاوضات كامب ديفيد الثانية Camp David Summit

في تموز/ يوليو 2000. ثم جاءت انتفاضة الأقصى في أيلول/ سبتمبر 2000 لتعيد الشعب الفلسطيني مرة أخرى إلى مربع المقاومة، بعد أن سئم المفاوضات والمماطلات الإسرائيلية، وعمليات تهويد القدس والاستيطان، بالإضافة إلى غضبه من أداء السلطة وتفشي الفساد في مؤسساتها.

كانت زيارة أرييل شارون Ariel Sharon زعيم حزب الليكود الاستفزازية إلى حرم المسجد الأقصى في 2000/9/28 هي الشرارة التي فجرت الانتفاضة. وخلال الفترة 2000/9/28–2005/12/31، بلغ عدد الشهداء 4,242 شهيداً، بينهم 793 طفلاً، و270 شهيدة. وقامت السلطات بعمليات اغتيال وتصفية جسدية ميدانية لـ376 مواطناً. وبلغ عدد الجرحى 46,068 جريحاً[63]. وارتفع عدد السجناء في نهاية 2005 إلى نحو 9,200 سجيناً[64].

جدول رقم (3): عدد شهداء كتائب القسام في الضفة والقطاع خلال الفترة 2000/1/1–2005/12/31

السنة	شهداء بعمليات			شهداء في أثناء مهمة جهادية	شهداء آخرون للقسام		المجموع
	استشهادي	اشتباك مسلح	اقتحام مستعمرة		اغتيال بيد العدو	اغتيال بأيد عميلة	
2000	2	4	–	3	3	–	**12**
2001	23	17	8	5	20	–	**73**
2002	12	48	21	33	39	1	**154**
2003	14	53	9	21	46	1	**144**
2004	9	47	3	69	69	–	**197**
2005	1	10	2	12	13	–	**38**
المجموع	**61**	**179**	**43**	**143**	**190**	**2**	**618**
	283			**143**	**192**		

[63] موقع مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، 2005/2/9، انظر:
http://www.pnic.gov.ps/arabic/quds/arabic/viol/quds_viol_12-2005.html

[64] تقرير وزارة شؤون الأسرى والمحررين لعام 2005، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، انظر:
www.pnic.gov.ps/arabic/social/prisoners/2005.html

وقد شهدت سنة 2005 خُفوت موجة انتفاضة الأقصى، وكان ذلك نتيجة الأوضاع التي تلَت وفاة ياسر عرفات، وانتخاب محمود عباس رئيساً للسلطة، وبسبب انشغال الفلسطينيين في الضفة والقطاع في الانتخابات البلدية وفي التحضير للانتخابات التشريعية، فضلاً عن إعلان الفصائل الفلسطينية في 22 كانون الثاني/ يناير التهدئة من جانبٍ واحد، ثم إعلان وقف إطلاق النار بين السلطة و"إسرائيل" في 2005/2/8.

وتميزت حركة حماس بدورها البارز وبعملياتها الاستشهادية التي أحدثت دوياً هائلاً، وزعزعت الأمن في الكيان الإسرائيلي حيث نفذ معظمها في فلسطين المحتلة سنة 1948. وحتى 2005/12/1 حدثت 135 عملية استشهادية، نفذ أكثرها حماس بالإضافة إلى كتائب شهداء الأقصى والجهاد الإسلامي...[65]. ويشير تقرير الشاباك إلى مقتل 1,513 إسرائيلياً وجرح 3,380 آخرين منذ بدء الانتفاضة وحتى تموز/ يوليو 2005[66]. بلغ عدد شهداء كتائب القسام 618 شهيداً في الفترة 2000–2005، من بينهم 604 شهداء خلال انتفاضة الأقصى (2000/9/28 – نهاية 2005)، وهذا بخلاف أعداد أخرى من شهداء حماس غير العسكريين ومن أنصارها (انظر جدول رقم (3))[67].

قامت "إسرائيل" بتنفيذ انسحاب أحادي الجانب من قطاع غزة في النصف الثاني من سنة 2005. وبغض النظر عن العوامل السياسية والاستراتيجية التي دفعت "إسرائيل" للانسحاب، فإنه قد كان للمقاومة الفلسطينية دور كبير في دفعها إلى ذلك. وقد برزت حماس كأكثر الفصائل فعالية في المقاومة في قطاع غزة. وحسب دراسة إحصائية أعدتها كتائب القسام، فقد اعترف الإسرائيليون بوقوع 400 عملية في قطاع غزة أدت إلى إصابات في الجانب الإسرائيلي منذ بداية انتفاضة الأقصى وحتى 2005/8/15، وقد نفذت كتائب القسام 217 عملية، أدت إلى مقتل 79 إسرائيلياً، من أصل 167 اعترف بمقتلهم، وإلى جرح 646 إسرائيلياً، من أصل 1,084 إسرائيلياً اعترف بإصابتهم بجراح. بينما قتلت سرايا القدس (الجهاد الإسلامي) 12 إسرائيلياً وجرحت 104 آخرين، وقتلت كتائب شهداء الأقصى (فتح) ثمانية إسرائيليين وجرحت 43 آخرين؛ أما العمليات المشتركة التي كان يقوم بها فصيلان أو أكثر، فقد

---

[65] موقع جيش الدفاع الإسرائيلي، انظر: http://www.idf.il/SIP_STORAGE/DOVER/files/6/31646.doc

[66] نشرت التقرير صحيفة **معاريف**، ونشرت ترجمته صحيفة **السفير**، بيروت، 2005/7/15.

[67] انظر: "القسام حقائق وأرقام،" مجلة **قساميون**، وحدة الإعلام المقاوم – كتائب الشهيد عز الدين القسّام، العدد الخاص 5، كانون الأول/ ديسمبر 2007، ص 10.

أدت إلى مقتل 51 إسرائيلياً وجرح 130 آخرين. وبغض النظر عن مدى القبول بهذه الإحصائيات لدى الجهات المختلفة، فإنه مما لا شكّ فيه أن حماس اكتسبت أكثر المواقع تقدماً في المقاومة المسلحة خلال انتفاضة الأقصى[68].

وفي انتفاضة الأقصى استشهد عدد من قادة حماس الكبار أمثال جمال سليم وجمال منصور في 2001/7/31، وصلاح شحادة في 2002/7/22، وإسماعيل أبو شنب في 2003/8/21. وتلقت حماس إحدى أقسى الضربات باستشهاد زعيمها الروحي ومؤسسها الشيخ أحمد ياسين في 2004/3/22، ثم تبعه استشهاد عبد العزيز الرنتيسي في 2004/4/17. وكان يقبع في السجون الإسرائيلية في نهاية سنة 2005 نحو أربعة آلاف من أعضاء ومؤيدي حماس، ومعظمهم من أبناء الضفة الغربية، ويشمل الاعتقال معظم قيادات الصف الأول، والثاني، والثالث لحماس في الضفة.

لم تستطع السلطة مقاومة أو تعطيل تيار الانتفاضة الجارف، فحاولت التعامل معه والاستفادة منه سياسياً لتحقيق مكاسب تفاوضية. غير أن الغرور والعجرفة الإسرائيلية، ومحاولتها سحق الانتفاضة بكافة الوسائل الشرسة قد ألهبت الانتفاضة، وزادت قوتها، وعمقت حالة العداء المرير بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وطوال السنوات الثلاث الأولى للانتفاضة ظلت نسبه 75–85% من الفلسطينيين تؤيد الانتفاضة واستمرارها[69]، بالرغم من حالة الدمار الهائل والانهيار الاقتصادي وسقوط آلاف الشهداء وعشرات الآلاف من الجرحى.

أثبتت انتفاضة الأقصى صحة توقعات تيار المقاومة، وأعطته مزيداً من المصداقية. وعادت حماس من جديد لتكون الرقم الصعب الذي لا يمكن تجاوزه على الساحة الفلسطينية. وقد شجع ذلك التيار المطالب بالمقاومة المسلحة في فتح على المشاركة في الانتفاضة، فظهرت كتائب شهداء الأقصى التابعة لفتح والتي كان لها دور كبير خصوصاً في العمليات التي تنفذها داخل الضفة الغربية وقطاع غزة. وبعبارة أخرى، فإن حماس نجحت في جرِّ السلطة الفلسطينية (بما فيها الكثير من عناصر فتح) إلى

---

[68] موقع كتائب الشهيد عز الدين القسام، المكتب الإعلامي، 2005/8/16، في: http://www.alqassam.ps/ensihab/ehsaeiat/ehsaeiat4.htm؛ وانظر أيضاً: **فلسطين المسلمة**، 2006/3/1، في: http://www.fm-m.com/2006/Mar2006/story15.htm

[69] JMCC Public Opinion polls.

خانة المقاومة. وتمكنت من فرض أجندة الانتفاضة على السلطة، فضلاً عن إرباك وتعطيل خطّ التسوية.

وتصاعدت شعبية حماس، مقابل انخفاض شعبية فتح (العمود الفقري للسلطة) وانخفاض شعبية ياسر عرفات نفسه. وسجلت استطلاعات مركزي القدس ونابلس هذا المؤشر بشكل واضح، على الرغم من تحفظات مؤيدي حماس والمعارضة من أن المركزين مدعومان من السلطة أو من جهات ليس من مصلحتها إظهار قوة الإسلاميين. وسجل مركز القدس في نيسان/ أبريل 2003 تقارباً بين شعبية فتح 22.6% وحماس 22%، أي أنهما أصبحا يتقاسمان النفوذ على الساحة الفلسطينية[70]. فيما سجل استطلاع آخر في آب/ أغسطس 2001 نسبة 26% لفتح، ونسبة 27% لحماس[71].

أدخل تصاعد نفوذ حماس السلطة في أزمة سياسية جديدة، تضاف إلى أزماتها الأخرى المتعددة. ووجدت السلطة نفسها في حالة تجاذب هائل بين مطرقة الضغوط الإسرائيلية الأمريكية الأوروبية المطالبة بوقف الانتفاضة وتقديم المزيد من التنازلات، وبين سندان المقاومة الإسلامية والوطنية المطالبة بتبني برنامج وطني على أساس تصعيد الانتفاضة، لإجبار الكيان الإسرائيلي على الانسحاب. وكان من أغرب المفارقات اتفاق الجميع (أعداء وخصوماً ومؤيدين) على فساد السلطة، ووجوب إدخال إصلاحات جوهرية عليها، غير أن "الفساد" كان مجرد عنوان يحمل مضامين مختلفة عند الفرقاء.

كانت الإملاءات "الإسرائيلية" الأمريكية تشترط حالة تهدئة فلسطينية، أو بعبارة أخرى سحق حماس أو إسكاتها مقابل استمرار المفاوضات. غير أن الحالة الشعبية الفلسطينية العامة المؤيدة بأغلبيتها الساحقة لاستمرار الانتفاضة وفَّرت حماية طبيعية لحماس وتيار المقاومة. ثم إن شدة الضغط الإسرائيلي على السلطة بما في ذلك ضرب مقراتها، وتدمير مراكز شرطتها وسجونها، ومحاصرة رئيسها، بل وإعادة احتلال أراضي السلطة... كلُّ ذلك حقق نتائج عكسية لأنه أضعف السلطة وهيبتها وقدرتها على الإمساك بزمام الأمور، وبالتالي صَعَّب إمكانية سحق حماس والمقاومة أو إسكاتها.

---

[70] Ibid.

[71] Jonathan Schanzer, "The Challenge of Hamas to Fatah," *Middle East Quarterly* journal, Middle East Forum (MEF), Spring 2003, vol. X, no. 2, http://www.meforum.org/516/the-challenge-of-hamas-to-fatah#_ftn39

بالإضافة إلى أن هذا السلوك أقنع الكثير من الفلسطينيين بعجز السلطة عن حمايتهم، في الوقت الذي تقوم فيه حماس وتيارات المقاومة بعمليات تحدث الهلع في الوسط الإسرائيلي، وتوجد نوعاً من توازن الرعب. وكان عرفات قد جرّب أكثر من مرة إعلان وقف الانتفاضة، لكنها كانت تستمر وتتسع، مما أفقده وأفقد السلطة الكثير من الهيبة.

واعترافاً بهذا الواقع، اتجهت الأنظار إلى الدعوة إلى حوار فلسطيني – فلسطيني كان جوهره بالنسبة للسلطة ومصر، التي دخلت بقوة على هذا الخط، إيقاف الانتفاضة أو إعلان هدنة، سعياً لاستمرار المفاوضات. وقد رحب تيار المقاومة بالحوار سعياً منه لإيجاد برنامج وطني جديد مشترك يقوم على قاعدة دحر الاحتلال. وكانت حماس والجهاد الإسلامي وباقي تيار المقاومة يعلمون أن الهدف التالي لإيقاف الانتفاضة هو ضرب البنية التحتية للمقاومة وسحق هذه الحركات.

كان انعقاد المفاوضات بحد ذاته اعترافاً عملياً من السلطة بعدم قدرتها على اتخاذ قرارات حاسمة وفاعلة على الأرض، دون الرجوع للتيار المقاوم وخصوصاً حماس. وقد استفادت مصر من حجمها العربي الكبير، وعلاقاتها المتميزة مع السلطة و"إسرائيل" وأمريكا، فضلاً عن انفتاحها على المعارضة الفلسطينية، في الدعوة لهذه الحوارات، فانعقدت في القاهرة أهم هذه المفاوضات في 10–2002/11/13 بين فتح وحماس، وفي كانون الثاني/ يناير 2003 بمشاركة كافة الفصائل الفلسطينية، وفي 4–2003/12/7 بمشاركة كافة الفصائل الفلسطينية أيضاً. وربما أسهمت هذه الحوارات في تقريب وجهات النظر، ولكن السلطة فشلت في الحصول على ما تريد، خصوصاً وأن فصائل المقاومة لم تكن معنية أو ملتزمة باتفاقيات أوسلو وما تلاها[72]. في المقابل، لم يُلزم الجانب الإسرائيلي نفسه بهدنة أو بتوقيف عملياته ضدّ المدنيين الفلسطينيين، حتى لو أعلنت فصائل المقاومة الهدنة من طرفها. وقد كانت فترة الهدنة التي أعلنت من قبل فصائل الانتفاضة في صيف 2003 (أعلنت لمدة ثلاثة أشهر، لكنها استمرت 52 يوماً فقط، 6/29–2003/8/21) دليلاً واضحاً على بشاعة الممارسات الإسرائيلية واستمرارها في حملات القتل والتدمير، مما أضعف من احتمال إعلان أيّ هدنة جديدة.

[72] تابعت الصحف ووكالات الأنباء ومحطات التلفزة هذه الاجتماعات، انظر مثلاً في أيام تلك الاجتماعات في: صحيفة **الخليج**، الشارقة.

واصلت "إسرائيل" سعيها لسحق الانتفاضة، فعانى الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات من الحصار في مقره في رام الله لنحو سنتين ونصف بعدما أثار الغضب الإسرائيلي عليه نتيجة دعمه السري للانتفاضة والمقاومة المسلحة. وقد انتهى الأمر بوفاته في تشرين الثاني/ نوفمبر 2004، في ظروف تثير العديد من علامات الاستفهام القوية حول احتمال تسميمه من قبل الإسرائيليين. وخلَفه محمود عباس في رئاسة م.ت.ف والسلطة وفتح. وقد عانت حركة فتح من غياب الرمز القائد الذي كان يوحدها، كما عانت من حالة التشرذم والترهل والفساد، وصراع التيارات والزعامات في داخلها؛ وهو ما أدى بها إلى تراجع مكانتها وشعبيتها في الوسط الفلسطيني. في الوقت الذي حافظت فيه حماس على تماسكها وانضباط أعضائها، وعلى صورتها الإيجابية التي تشكلت نتيجة عملها المُقاوِم، وخدماتها الاجتماعية والتعليمية، وعدم انغماسها في أيّ من ملفات الفساد، فضلاً عن عدم "تورطها" حتى نهاية 2005 في إدارة السلطة.

قاطعت حماس انتخابات الرئاسة الفلسطينية التي أجريت في أوائل 2005، والتي فاز فيها محمود عباس. غير أن حماس تعاملت بإيجابية مع قيادة السلطة بشأن إعلان الهدنة لتوفير ظروف مناسبة لإجراء الانتخابات البلدية والتشريعية، التي قررت حماس المشاركة فيها. وفي 15–2005/3/17 اجتمعت الفصائل الفلسطينية في القاهرة بمشاركة فتح وحماس. وانتهى الحوار بتبني برنامج سياسي فلسطيني، اشتمل على الالتزام بالثوابت الفلسطينية، وعلى الحق في مقاومة الاحتلال، وعلى الإعلان عن تهدئة تستمر حتى نهاية العام. كما تمّ الاتفاق على إجراء الانتخابات التشريعية، وعلى القيام بإعادة تنظيم منظمة التحرير الفلسطينية وإصلاحها، وفق أسس تُمَكِّن جميع القوى الفلسطينية من الانضمام إليها.

كانت الانتخابات البلدية، التي أجريت على مراحل خلال سنة 2005، أحد أبرز المؤشرات على تصاعد شعبية حماس. وقد جاءت النتائج متقاربة بين فتح وحماس. وبرزت صعوبة تحديد الفائز أحياناً، لأن عدداً من مرشحي حماس في الضفة الغربية نزلوا كمستقلين خوفاً من الاعتقال. وبشكل عام، كان لفتح حظّ أوفر في المجالس البلدية الصغيرة، بينما كان حظّ حماس أفضل في المدن والبلديات الكبيرة، وهو ما دفع قيادة السلطة لتعليق الانتخابات في مدينتي الخليل وغزة حيث تتمتع حماس بثقل كبير، خصوصاً بعد أن فازت حماس بـ 74% من أصوات مدينة نابلس. ومهما يكن من أمر،

فإن النتائج القوية التي حصلت عليها حماس أضعفت من مصداقية استطلاعات الرأي التي كانت تعطي تفوقاً كبيراً لفتح على حماس؛ كما زادت من مخاوف فتح من احتمال خسارتها في الانتخابات التشريعية، وهو ما دفع الرئيس عباس لتأجيل الانتخابات من تموز/ يوليو 2005، إلى 2006/1/25. ويحاول الجدول التالي أن يعكس صورة عامة لنتائج الانتخابات البلدية، غير أنه يبقى محاولة لتقريب الصورة بسبب التضارب الشديد أحياناً في المصادر[73].

جدول رقم (4): نتائج الانتخابات البلدية في الضفة والقطاع حسب عدد المقاعد والأصوات في المراحل الأربعة

التنظيم	نسبة عدد المقاعد في كل مرحلة (%)				نسبة الأصوات في كل مرحلة (%)			
	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة
	26 دائرة في الضفة و10 في القطاع	78 دائرة في الضفة و5 في القطاع	104 دوائر في الضفة	39 دائرة في الضفة و3 في القطاع				
فتح	38.9	35	53.73	32.85	32	40.2	53.73	30
حماس	36.8	35.4	26.03	30	50	33.7	36.03	50.5

جدول رقم (5): نتائج الانتخابات البلدية حسب النسبة الكلية لعدد المقاعد

التنظيم	فتح	حماس	تنظيمات أخرى ومستقلون	المجموع
عدد المقاعد	1,164	862	701	**2,727**
النسبة المئوية من عدد المقاعد (%)	42.7	31.6	25.7	**100**

[73] انظر: صحيفة **الحياة الجديدة**، رام الله، 2005/9/18؛ ودراسة لمركز دراسات الشرق الأوسط في الأردن نشرت في تشرين الثاني/ نوفمبر 2005؛ وموقع المركز الفلسطيني للإعلام، 2005/12/18، في:
http://www.palestine-info.info/arabic/palestoday/reports/report2005/entkhabat05/nataeej/nataeej.htm
وانظر أيضاً: موقع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، في:
http://www.pogar.org/arabic/govnews/2005/issue2/palestine.html#m2a

خلاصة:

تعود أسباب صعود حركة حماس في الفترة 1987–2005 إلى قدرتها على تقديم خطاب إسلامي معتدل، وهو خطاب يجد صداه الواسع لدى الجماهير. ومن جهة ثانية فقد تميزت حماس بدينامية عالية (آلية عمل وتكيّف فعالة) مكنتها من التفاعل والتكيف السريع مع الأحداث والتطورات المختلفة. ولذلك فقد تمكنت حماس من تقديم واستبدال ثلاثة أجيال قيادية ميدانية خلال الانتفاضة الأولى، كما تعددت المرات التي أعلنت فيها السلطات الإسرائيلية الحرب الشاملة على حماس، أو القضاء على كتائب القسام؛ لكن حماس ما تلبث أن تقوم من جديد أقوى عوداً وأوسع انتشاراً. كما أن خسارة حماس لكثير من رموزها السياسيين وقادتها العسكريين كان في العادة ذا تأثير مؤقت ما تلبث ديناميتها العالية أن تتعامل معه وتتجاوزه. وتميزت حماس، من جهة ثالثة، بتماسك داخلي وانضباط تنظيمي مرتفع مقارنة بغيرها من الفصائل وخصوصاً فتح، وقد ساعد على ذلك تمتعها ببنية مؤسسية "شوريّة" فاعلة. وقد مكنها ذلك من التعامل بفعالية مع مختلف التحديات التي تواجهها، وصعب من محاولات اختراقها، أو تفتيتها، أو حرفها عن مسارها. ولذلك لم يحدث انشقاق في هذه الحركة أو أيّ انفصال ذي بال من كوادرها طوال الفترة الماضية. أما السبب الرابع، فهو أن حماس كانت أكثر الجهات فاعلية في مجالات العمل الخيري والتكافل الاجتماعي، بحيث صارت هذه الحركة جزءاً من نسيج الشعب الفلسطيني ومكوناته، مما جعل من الصعوبة بمكان محاصرتها أو القضاء عليها.

ومن ناحية خامسة، فإن حماس نأت بنفسها عن السلطة وتبعاتها، وبالتالي لم تتحمل "أوزار" اتفاق أوسلو ونتائجه، ولم تتحمل المسؤولية الرسمية لإدارة العمل السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي الفلسطيني، مما جعل اللوم يقع في حالات الضعف والتقصير على السلطة وتيار فتح الذي يدعمها. ثم إن روائح الفساد والابتزاز والصفقات المشبوهة التي طالت العديد من شخصيات السلطة، لم تصب أياً من رجال حماس التي حافظت على صفحتها البيضاء طوال تلك الفترة.

ثم إن حماس، من جهة سادسة، برزت في الإطار العسكري الجهادي بحيث أنها أصبحت في انتفاضة الأقصى الفصيل الفلسطيني الأول من ناحية تنفيذ العمليات (وخصوصاً النوعية)، ومن ناحية تحقيق أعلى أعداد في القتلى والجرحى الإسرائيليين.

كما قدمت أعداداً كبيرة من الشهداء وعلى رأسهم قادتها. وعلى ذلك فقد حققت حماس "شرعية وريادة" نضالية، مما أكسبها احترام الشارع الفلسطيني والعربي والإسلامي، الذي عادة ما يَعدُّ المقاومة المسلحة المقياس أو"الترمومتر" الذي تقاس به الأشياء، ودليلاً على المصداقية والمشروعية.

وحتى نهاية 2005، نجحت حماس في الالتزام بحرمة الدم الفلسطيني وعدم الانجرار إلى حرب أهلية، وظلّ هذا خطاً أحمراً على الرغم من أنها تعرضت لحملات اعتقال وضرب واسعة من السلطة الفلسطينية، وخصوصاً في السنوات التي سبقت انتفاضة الأقصى. وهو ما أبقى على صورتها الإيجابية لدى عامة الناس.

ومن جهة أخرى، فعلى الرغم من أن حماس حركة إسلامية ومحسوبة على تيار تقوم معظم الأنظمة العربية بملاحقته أو معاداته، وعلى الرغم من أنها وُضعت في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية في قائمة المنظمات الإرهابية، إلا أن حماس تمكنت من تقديم خطاب إعلامي متوازن، وحصرت عملياتها العسكرية على أرض فلسطين فقط، ولم يتم جرها إلى أيّ من المعارك الجانبية أو الخلافات العربية – العربية؛ مما أكسبها الكثير من الاحترام في الشارع العربي، وحتى في الأوساط الرسمية العربية.

وأخيراً، ستفرض المرحلة القادمة (التي تلت سنة 2005) على حماس الإجابة عن عدد من الأسئلة الاستراتيجية واتخاذ مواقف وخيارات صعبة، لم يعد كافياً معها مجرد النقد المعارض لأداء السلطة. وسيكون عليها أن تقدم تصورات واضحة حول إعادة ترتيب البيت الفلسطيني، وعملية صناعة القرار، وعملية تحقيق الوحدة الوطنية، والعمل مع فتح وباقي الفصائل وفق برنامج وطني شامل، وحلّ التشابك بين حقّ المقاومة وبين عملية البناء وبين برنامج السلطة، وكيفية إدارة العلاقة مع "إسرائيل"؟ وكيفية إدارة علاقاتها المحلية، والعربية، والدولية في ظروف معادية أو غير مواتية؟ وكيف ستتنزل حماس مشروعها الإسلامي على أرض الواقع؟

Islamic Resistance Movement

Hamas

Studies of Thought & Experience

هذا الكتاب

تُمثّل حركة المقاومة الإسلامية حماس أحد أبرز حركات المقاومة الفلسطينية. وهي حركة تحظى بشعبية واسعة في الوسط الفلسطيني، وتتبنى الإسلام عقيدة وسلوكاً ومنهجاً، وتنتمي إلى مدرسة الإخوان المسلمين.

شارك في إعداد هذا الكتاب 17 من الأساتذة والباحثين المتخصصين وقيادات من حركة حماس، وهو يستعرض النشأة التاريخية لحركة حماس وتطورها، والرؤية السياسية لها، ونظرتها للعدو الصهيوني، وموقفها من مشاريع التسوية السلمية، ومن الفصائل الفلسطينية، ورؤيتها لعملية الإصلاح السياسي والاجتماعي؛ كما يناقش دوائر علاقات حماس العربية والإسلامية والدولية، وغيرها من القضايا المهمة.

ويُعدّ هذا الكتاب أحد أبرز المراجع المتخصصة في فكر حركة حماس وتجربتها، ولا غنى عنه لكل المعنيين بدراسة هذه الحركة؛ فهو يلتزم بمناهج البحث العلمي وكل ما يتطلبه ذلك من دقة وموضوعية وتوثيق؛ كما يضيف جديداً من خلال إسهامات من قيادات حماس نفسها.

د. محسن محمد صالح

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب: 14-5034 بيروت - لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net